علم المناسبات بين النفي والإثبات
دراسة تحليلية نقدية

دكتور/ محمد بن عبد الله الوزره الدوسري
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه- كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه دراسة تتناول موضوع (علم المناسبات بين النفي والإثبات دراسة تحليلية نقدية) ،وقد قسمته إلى :مقدمة، وخمسة فصول ، وخاتمة.

-المقدمة وتتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وحدود البحث، وأسئلته، وأهدافه ، والدراسات السابقة،وخطة البحث ،ومنهجه.

- **الفصل الأول: علم المناسبات: تعريفه، أول من أظهره، أهم المصنفات فيه.**
  المبحث الأول: تعريف علم المناسبات في اللغة والاصطلاح.
  المبحث الثاني: أول من أظهر علم المناسبات.
  المبحث الثالث: أهم المصنفات في علم المناسبات.
- **الفصل الثاني: أهمية علم المناسبات، وعلاقته بالإعجاز .**
  المبحث الأول: أهمية علم المناسبات.
  المبحث الثاني: علاقة علم المناسبات بالإعجاز القرآني.
- **الفصل الثالث: أنواع المناسبات.**
  المبحث الأول: أنواع المناسبات في الآية.
  المبحث الثاني: أنواع المناسبات بين الآيات.
  المبحث الثالث: أنواع المناسبات بين السور.
- **الفصل الرابع: ترتيب القرآن الكريم.**
  المبحث الأول: ترتيب الآيات.
  المبحث الثاني: ترتيب السور.

- **الفصل الخامس: علم المناسبات بين المثبتين والنافين.**

المبحث الأول: المثبتون لعلم المناسبات وأدلتهم.

المبحث الثاني: النافون لعلم المناسبات وأدلتهم.

المبحث الثالث: المتحفظون في علم المناسبات وأدلتهم.

- **الخاتمة:** وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

الخاتمة:وضمنت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، ومن أبرزها ما يلي :

١- أن القول بإثبات علم المناسبات هو القول الحق الذي لا ينبغي سواه، ولكن يشترط للقول بالمناسبة شرطان:

الأول- أن يكون فيه رابط لفظي أو معنوي.

الثاني- ألا يكون فيه تكلف ظاهر، يخرجه إلى التفسير بمحض الرأي المنهي عنه.

٢- أن القول بإثبات علم المناسبات هو القول الراجح، وذلك لأمور:

أ- قوة أدلة المثبتين في مقابل ضعف أدلة النافين.

ب- كثرة فوائد هذا العلم عند العمل به، وفقدانها بفقدانه.

ج- أن علماء الأمة وأعلامها مجمعون على أن هذا القرآن الكريم يتسم بحسن الترتيب وجمال التناسق، ورصانة النظام؛ بصرف النظر عما يوجد بينهم من فارق كبير في مجال تطبيقه.

-**ثم الفهارس:و** ثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسباً سوره وآياته، متشابهاً فواصله وغاياتـه؛ وأشـهد أن لا إله إلا الله الذي تمت كلماته، وعمّت مكرماته، وأشهد أن نبينا محمداً عبـده الـذي ختمت به نبواته، وكملت برسالته رسالاته؛ توالت عليه وعلى آلـه وأصـحابه وأحبابـه صلواته، وتواتر تسليمه وبركاته حتى ندرك مرضاته، أما بعد:

فلقد انفرد القرآن الكريم بطريقة سوية في تأدية المعاني وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافر بين ألفاظها ولا بين حروفها، إنها طريقة مستقيمة لا عوج فيهـا، ولا تنـاقض ولا اختلاف.

تسلك بالناس مسلك الهدى من غير تكلف ولا اعتساف، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلـى التأمل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهد، بحيـث لا يـسع أحـداً إنكاره، أو المراء فيه إلا من سفه نفسه، وألغى عقله، وتخلى عن فطرته.

فأسلوب القرآن الكريم في الإقناع ممتع، يملك على المؤمنين أفئدتهم، فتلين وتخـشع من خشية الله، وتستنير بنور الإيمان الذي يزداد كلما تليت آياته بتدبر وتبـصر، ولهـذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقليـة، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، والنفوس الجامحة.

وله جمال يعرف ولا يوصف، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهـه العقول، أو تعبر عنه ألسنة المتكلمين أو أقلام الكاتبين.

ولكن كان لزاماً أن أدلي بدلوي المتواضع مع أولئك الذين سـبقوني إلـى الحـديث المستفيض عن هذه الخصائص والسمات التي تمثل وجوهاً من وجـوه إعجـاز القـرآن الكريم، فكان موضوع بحثي هذا هو: (علم المناسبات بين النفي والإثبات).

- وكان من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

١- أهمية هذا العلم، وكثرة فوائده التي هي طريق إلى فهم كتـاب الله علـى الوجـه الصحيح.

٢- أن هذا العلم لم يلق اهتماماً كبيراً من الباحثين في الدراسات القرآنية.

٣- أن هذا العلم له علاقة قوية بكثير من علوم القرآن والبلاغة.

٤- الدفاع عن كتاب الله العظيم؛ فأعداء الإسلام يسعون بكل جهدهم وطاقتهم لإثبـات أن هذا القرآن ليس كتاب الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

أهداف البحث:

١. جمع أقوال العلماء في موقفهم من علم المناسبات.

٢. دراسة موقف كل فريق من هذا العلم ومناقشتها والخروج بموقف وسط بينهما.

الدراسات السابقة:

في إطار البحث عن الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، هناك دراسات مشابهة تحدثت عن علم المناسبات ومن أهمها:

١- انسجام النص القرآني بين علم المناسبات واللسانيات النصية ــ قراءة وصفية في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي لوليد بوجلال ، مقال نشر في مجلة الإحياء المجلد ٢١ العدد ٠٢ ص ٤٧١-٤٨٢

٢- منهج الإمام الآلوسي-رحمه الله-في رعاية علم المناسبات في تفسيره روح المعاني أحمد عبد الحميد محمد أحمد العوني، أحمد – مجلة كلية أصول الدين والدعوة ٢٠٢٣

٣- علم المناسبات في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية" أحمد ماهر سعيد نصر حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية العدد السابع والثلاثين.

٤- (المناسبة في كتاب صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني) دراسة تطبيقية على علم المناسبة) إعداد: زين العقلي جامعة أنتساري الإسلامية الحكومية كلية أصول الدين والعلوم الإنسانية شعبة علم القرآن والتفسير .

٥- المناسبات في تفسير البيضاوي – عرضًا ودراسة. رسالة ماجستير للأستاذة: رياء بنت محمد الصغيّر- كلية الشريعة/ جامعة القصيم.

٦- المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي (رسالة ماجستير) عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني جامعة أم القرى كلية الدعوة و أصول الدين.

٧- المناسبات وأثرها في استنباط معاني القرآن الكريم بين الإمامين الفخر الرازي والألوسي دراسة موازنة في سورتي)المائدة والأنعام (شاذلي عشري عبد القادر إسماعيل مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد الخامس والستون، الجزء الأول، أكتوبر ٢٠٢٢م

والفرق واضح بين موضوعنا وبين هذه الرسائل والبحوث فموضوعنا محصور ومحدد بأنه (علم المناسبات بين النفي والإثبات) فهو قاصر على قضية النفي والإثبات من

وجهة نظر كل فريق في تناولهم لهذا العلم ،أما هذه الرسائل والبحوث بعضها في الجانب اللغوي أو تناول علم المناسبة عند مفسر معين،أو دراسة المناسبة دراسة تطبيقية على بعض السور.

خطة البحث:

- وقد كانت خطتي في البحث على النحو الآتي:

- **المقدمة:** ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث، ومنهجي في البحث.
- **الفصل الأول: علم المناسبات: تعريفه، أول من أظهره، أهم المصنفات فيه.**
  المبحث الأول: تعريف علم المناسبات في اللغة والاصطلاح.
  المبحث الثاني: أول من أظهر علم المناسبات.
  المبحث الثالث: أهم المصنفات في علم المناسبات.
- **الفصل الثاني: أهمية علم المناسبات، وعلاقته بالإعجاز .**
  المبحث الأول: أهمية علم المناسبات.
  المبحث الثاني: علاقة علم المناسبات بالإعجاز القرآني.
- **الفصل الثالث: أنواع المناسبات.**
  المبحث الأول: أنواع المناسبات في الآية.
  المبحث الثاني: أنواع المناسبات بين الآيات.
  المبحث الثالث: أنواع المناسبات بين السور.
- **الفصل الرابع: ترتيب القرآن الكريم.**
  المبحث الأول: ترتيب الآيات.
  المبحث الثاني: ترتيب السور.
- **الفصل الخامس: علم المناسبات بين المثبتين والنافين.**
  المبحث الأول: المثبتون لعلم المناسبات وأدلتهم.
  المبحث الثاني: النافون لعلم المناسبات وأدلتهم.
  المبحث الثالث: المتحفظون في علم المناسبات وأدلتهم.
- **الخاتمة:** وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.
- **الفهارس:** ثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

- منهجي في البحث:

أتبعت عند كتابة البحث المنهج الوصفي التحليلي وفق المنهج العلمي الآتي:

١- كتابة الآيات القرآنية في جميع البحث بالرسم العثماني، مع بيان أرقامها، وعزوها إلى سورها.

٢- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية بذكر الجزء والصفحة، ورقم الحديث، وإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإذا كان في غيرهما فأعزوه إلى مصادره الأصلية مع ذكر أقوال أهل العلم فيه والحكم عليه.

٣- ضبط الكلمات المشكلة والغريبة من مصادرها المعتمدة.

٤- توثيق الأقوال، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٥- ترتيب الأقوال والمؤلفات داخل البحث على حسب تاريخ الوفاة.

٦- نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيقها من مصادرها.

٧- التعريف بالأعلام غير المشهورين.

٨- التعريف بالفرق، والأماكن والبلدان.

وها أنا أقدم هذا البحث لكل منتفع به جهداً متواضعاً وعملاً ميسوراً، راجياً من الكريم الوهاب أن ينفع به، ويجعله خالصاً له سبحانه، فهو الموفق والهادي إلى أقوم سبيل وأهدى طريق، وهو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للخلق أجمعين.

الفصل الأول: علم المناسبات: تعريفه، أول من أظهره، أهم المصنفات فيه .

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات .

تعريف علم المناسبات في اللغة :

(نسب) النون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء.

١- ومنه النسيب، سمي بذلك لاتصاله وللاتصال به.

وتقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان.

٢- ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتصل بها.

٣- والنسيب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض[١].

٤- وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة[٢].

٥- وتقول: نَسَبَه يَنْسُبُه نَسَباً، أي: عزاه.

٦- وتقول: نَسَبتُ فلاناً إلى أبيه أنسبُه وأنْسِبُهُ نَسْباً: إذا رفعت في نسبه إلى جده الأكبر.

٧- وتقول: نَيْسَبَ فلان بين فلان وفلان نَيْسَبَةً ؛ وذلك إذا أدبر وأقبل بينهما بالنميمة وغيرها[٣].

٨- ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، أي: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت

مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم.

ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها[٤].

- وبهذا يتبين: أن معنى المناسبة في اللغة يدور حول معاني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة، والمشاكلة[٥].

تعريف علم المناسبات في الاصطلاح :

لم يذكر أكثر العلماء تعريفاً اصطلاحياً لعلم المناسبات، وذلك لأجل توافق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة، إلا أنه بالإمكان استخلاص تعريف

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٣/٥) مادة:(نسب).

(٢) الصحاح تاج اللغة للجوهري (٢٢٤/١) مادة:(نسب).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٧٥٦/١) مادة:(نسب).

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٥/١).

(٥) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (٧٧).

اصطلاحي لهذا العلم، وذلك من خلال أقوال العلماء والمفسرين المشيدة بهذا العلم الدقيق.

فنقول: المناسبة في الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

والمناسبة في كتاب الله: هي البحث عن أوجه الارتباط بين أجزاء الآية، أو بين الآية وجارتها، أو بين الآيات في مجموع السورة الواحدة، أو بين السورة والسورة[١].

المبحث الثاني: أول من أظهر علم المناسبات

أول من أظهر علم المناسبات، ونبه إلى جلالة قدره، وعاب على العلماء تقصيرهم في الكشف عن أسراره هو الشيخ:

أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري الشافعي (ت ٣٢٤هـ) [٢].

يقول أبو الحسن الشهراباني[٣]:

(أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري؛ وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه آية: لم جُعِلَتْ هذه الآية إلى جنب هذه؟

وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة) [٤].

أولاً– ممن أفرد علم المناسبات بالتصنيف :

١– أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الأندلسي (ت ٨٠٧هـ)، وذلك في كتابه: (البرهان في تناسب سور القرآن).

٢– الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، وذلك في كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

٣– الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ)، وذلك في ثلاثة كتب:

أ– (أسرار التنزيل) ثم لخص منه مناسبة السور في جزء لطيف سماه:

ب– (تناسق الدرر في تناسب السور).

---

(١) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (٧٧).

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري، رحل في طلب العلم إلى العراق، والشام، ومصر، وسكن بعد ذلك بغداد، وكان إماماً، محدثاً، حافظاً، متقناً، عالماً بالفقه والحديث، موثقاً في روايته، ومات في سنة أربع وعشرين وثلاثمئة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣١٠/٣) والأنساب للسمعاني (٥٥٠/٥).

(٣) علي بن محمد بن محمد بن محمد بن وضاح أبو الحسن الشهراباني نزيل بغداد؛ الفقيه الحنبلي النحوي الكاتب الزاهد. كذا ذكره الحافظ الدمياطي في معجمه؛ وأسند عنه حديثا؛ ولم يذكر مولده ولا وفاته. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة(٢٠٠/٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٦٣/٤).

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٦/١).

ج- (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

٤- محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، وذلك في كتابه: (النبأ العظيم).

٥- محمد طاهر بن غلام، المعروف عند تلاميذه بشيخ القرآن (ت ١٤٠٧هـ).

وذلك في كتابه: (سمط الدرر في ربط الآيات والسور).

٦-ابن شهيد ميسلون محمد بن كمال أحمد الخطيب.

وذلك في كتابه: (نظرة العجلان في أغراض القرآن).

ثانياً: ممن اعتنى بذكر المناسبات في تفسيره:

١- أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، في تفسيره: (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).

٢- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي (ت ٦٥٦هـ)، في تفسيره: (التفسير الكبير) المسمى (مفاتيح الغيب).

٣- أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، في تفسيره: (التسهيل لعلوم التنزيل).

٤- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، في تفسيره: (البحر المحيط).

٥- محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، في تفسيره: (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير).

٦- أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، في تفسيره: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم).

٧- محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني (ت ١٢٥٠هـ)، في تفسيره: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).

٨- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، في تفسيره: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

٩- محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، في تفسيره: (التحرير والتنوير).

ثالثاً– ممن عدّ علم المناسبات من علوم القرآن:

١– الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي، المعروف بـ (أبي بكر ابن العربي) (ت ٥٤٣هـ)، في كتابيه: (سراج المريدين) ، و (أحكام القرآن).

٢– عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، في كتابه: (مجاز القرآن).

٣– كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الزملكاني (ت ٧٢٧هـ)، في كتابه: (البرهان في إعجاز القرآن).

٤– الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، في كتابه: (البرهان في علوم القرآن).

٥– الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ)، في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن).

٦– محمد محمود حجازي، في كتابه: (الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم).

٧– صبحي الصالح، في كتابه: (مباحث في علوم القرآن).

٨– محمد أحمد يوسف القاسم، في كتابه: (الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره).

٩– زاهر بن عواض الألمعي، في كتابه: (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم).

١٠– مصطفى مسلم، في كتابه: (مباحث في التفسير الموضوعي).

الفصل الثاني: أهمية علم المناسبات، وعلاقته بالإعجاز

المبحث الأول: أهمية علم المناسبات

إن لعلم المناسبات مقاصدَ عليّةً ، وفوائد جلية أذكر منها:

١-أن في هذا العلم زيادة علم، وحسن فهم لكتاب الله جل وعلا.

يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [١].

فأكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيبات والروابط[٢].

يقول عبد الحميد الفراهي [٣] (ت ١٣٤٩هـ): (ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه)[٤].

وكثيرٌ من الأحاديث تمر عليها، وتظن أنها زيادة على القرآن، أو أن القرآن ساكت عنها، مع أن االقرآن الكريم لم يسكت عنها، وإنما دل عليها بنظمه ورباط آياته وكلماته، والرسول ﷺ لم يزد على أن أماط اللثام عما كان مخبوءاً في نظامه ومناسباته.

٢- أنه علم يساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، وأن بعضه آخذٌ برقاب بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٥].

٣- أنه علم يربي العقل، ويعطيه ملكة قوية في حسن التدبر والاستنباط.

يقول الإمام بدر الدين الزركشي: (واعلم أن علم المناسبات علم شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[٦].

٤- أنه علم يكشف وجوه إعجاز القرآن الكريم من جهة نظمه.

يقول الرازي عن سورة البقرة: (ومن تأمل في لطائف هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك) [٧].

٥- أنه علم يؤكد قضية أن القرآن الكريم من عند الله، وليس تأليف أحد من البشر.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [٨].

---

(١) سورة النحل: (٨٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٦/١).

(٣) هو الإمام عبد الحميد الفراهي، ولد سنة (١٢٨٠هـ) في (فريها) قرية من قرى الهند، وتوفي في التاسع عشر من جمادي الآخرة (١٣٤٩هـ)، وكان رحمه الله منقطعاً إلى تدبر القرآن ودراسته، وقضى فيه أكثر عمره، وله مؤلفات كثيرة.

(٤) دلائل النظام للفراهي (ص٣٨).

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٦/١).

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٥/١).

(٧) التفسير الكبير للرازي (١٢٨/٧).

(٨) سورة النساء: (٨٢).

٦- أن هذا العلم من أحكام اللغة العربية، والقرآن الكريم جاء بلسا ن عربي مبين[١].

٧- أن هذا العلم هو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال.

٨- أنه علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء الكلام[٢].

٩- أنه علم يبين أسرار التكرار في الكلمات والآيات والقصص.

١٠- أنه علم قلت عناية المفسرين به، وذلك لأنه علم دقيق لا يدركه كل واحد[٣].

يقول الرازي: (إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر)[٤]

ويقول بدر الدين الزركشي: (وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة)[٥].

١١- أن العلماء قد عدوا هذا العلم من علوم القرآن الكريم، كما فعل بدر الدين الزركشي في كتابه: (البرهان في علوم القرآن) ، والسيوطي في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن).

١٢- أنه علم قد أفرد بالتصنيف، كما فعل أبو جعفر بن الزبير في كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن) ، وبرهان الدين البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآي والسور).

١٣- أن هذا العلم من علوم التفسير، فقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال:

تفسير القرآن الكريم على أربعة وجوه:

١- تفسير يعلمه العلماء.

٢- وتفسير يعرفه العرب.

٣- وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

٤- وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علماً به فهو كاذب[٦].

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٢٦).

(٢) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (١/٥-٦).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣٦).

(٤) التفسير الكبير للرازي (٧/١٢٨)،والبيت لأبي العلاء المعري، انظر: سقط الزند (٦١).

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان (١/ ٧٥) برقم (٧١) وهو موقوف على ابن عباس ﷺ ، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/٣٠٢) برقم (١٣٨٥)، وابن المنذر في تفسيره (١/١٣١) برقم (٢٥٥)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/١٩)، وذكره الزركشي في البرهان (٢/١٦٤)، وقال: وهذا تقسيم صحيح.

وعلم المناسبات من التفسير الذي يعلمه العلماء الذين فتح الله عليهم في هذا العلم.

وممن عد هذا العلم من علوم التفسير: الإمام السيوطي في كتابه (التحبير في علم التفسير).

حيث يقول: (العلم بهذه الأسرار ضروري، والجهل بها نقص في مراتب العلماء)[1].

١٤- أنه علم يعرف به الحق من معاني الآيات التي حار فيها المفسرون؛ لتضييع هذا الباب[2].

١٥- أن هذا العلم هو الطريق لنقد الروايات والتمييز بينها من حيث الصحة والضعف.

فإن كتب التفسير – مع الأسف – طافحة بالإسرائيليات والموضوعات، وما وجدت هذه الروايات طريقها إلى كتب التفسير إلا لعدم اهتمام الكثير من العلماء بعلم النظام والمناسبات.

١٦- أنه علم يساعد في الوصول إلى أصول الأحاديث الصحيحة في القرآن الكريم، فإن جملة كبيرة من الأحاديث الصحيحة مأخوذة منه.

فإذا تأمل الباحث في تناسب الآيات، ثم وصل إلى ما يجد له تأييداً في كلام النبوة وآثارها، ازداد بذلك ثقة وارتياحاً إلى ما فتح الله به عليه من خزائن حكمته، وازداد كذلك انشراحاً واقتناعاً بصحة ذلك الحديث، الذي وجد له أصلاً في تنزيله.

١٧- أن هذا العلم ثمرة من ثمرات التدبر المأمور به[3] في قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[4].

١٨- أن هذا العلم من العلم الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده المؤمنين[5].

فعن أبي جحيفة ﷺ[6] قال: (قلت لعلي ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة ؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر)[7].

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٥٤).

(٢) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (١٦/١).

(٣) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (٢).

(٤) سورة ص: (٢٩).

(٥) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (٢).

(٦) أبو جحيفة هو: وهب بن عبد الله بن مسلم السوائي، ويقال له: وهب الخير، من صغار الصحابة، قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره، وحفظ عنه، ثم صحب علياً بعده، وولاه شرطة الكوفة لما ولي الخلافة، توفي سنة (٧٤ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٢)، والإصابة لابن حجر (٦/ ٤٩٠).

(٧) نظم الدرر للبقاعي (١١)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم ، باب كتابة العلم (٣٣/١) برقم (١١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة (١١٥/٤) برقم (١٣٧٠).

١٩- أنه بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:

أ- نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

ب- نظم كل جملة مع أختها بالنظر إلى الترتيب.

٢٠- أن هذا العلم يكشف لنا حقيقة هذا الدين، وهي اتصال موضوعات وجزئياته اتصالاً عضوياً مترابطاً غير قابل للانفصال...كما يعرضها السياق القرآني متصلة – على اختلافها – بلا انقطاع ولا انفصال(١).

٢١- أنه عن طريق هذا العلم يمكننا معرفة الوحدة الموضوعية للسورة.

فالوحدة الموضوعية للسورة هي: النظر في السورة الواحدة كوحدة مؤتلفة تترابط أجزاؤها، وتتماسك معانيها في سياق واحد؛ ليكون وحدة منها ذات موضوع واحد لا تنافر بينه.

بخلاف ما لو فرق النظر في السورة، فإنه لا يصل إلى غاية، ولا يبصر تناسقاً في الآيات، فكأن الوحدة هي الضابط الذي يعول عليه في فهم الآيات(٢).

٢٢- أن هذا العلم يقضي على طريقة تفسير آيات القرآن منفصلة بعضها عن بعض، تلك الطريقة التي سلكها كثير من المفسرين، فقضت على جوانب بلاغة القرآن وتناسق أسلوبه وترتيب أفكاره .

٢٣- أن هذا العلم يدحض شبه المستشرقين حول القرآن الكريم، والتي منها:

قولهم: إن القرآن خليط متنافر وجمع غير مؤتلف، ليس فيه وحدة للموضوع، ولا يتبع منهج التأليف العلمي أو الفني(٣).

٢٤- أنه قد يعوض بوجوه المناسبة بين الآيات عن أسباب نزولها إن لم تعرف، أو عرفت ولم تحفظ، أو حفظت ولم تشتهر. وقد يثبت بهذه الوجوه أسباب نزولها، ويزيدها اتصالاً وارتباطاً، ويشيع في سياقها كله حركة ونشاطاً (٤).

٢٥- أن هذا العلم يقدم أحياناً على أسباب النزول.

فالمناسبة لا تقل أهمية عن السبب في الإعانة على فهم المعنى وتبيين حدود الأحكام.

---

(١) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (٨٦).

(٢) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير لعبد الغفار عبد الرحيم (٢٠٤).

(٣) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (٨٥).

(٤) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥٧).

ولئن جرت عادة المفسرين البداء بذكر سبب النزول، فإنهم يقدمون أحياناً ذكر المناسبة كلما رأوا فيها المصحح الحقيقي والذي لا غنى عنه لنظم الكلام وإجلاء المعنى[١].

يقول بدر الدين الزركشي: (إذا كان وجه المناسبة لا يتوقف على سبب النزول فالأولى تقديم وجه المناسبة)[٢].

ففي تساؤل المفسرين عن الأَوْلى فيما يبتدئون به: تقديم المناسبة أم تقديم السبب؟

إيحاء أقوى من التصريح بأن ارتباط آي القرآن، وتناسق بعضها مع بعض، واقتران كلماتها وجملها، ومشاهدها وصورها، علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وفسرت في ضوئه أكثر أحكامه وشرائعه[٣]

المبحث الثاني: علاقة علم المناسبات بالإعجاز القرآني

لقد أفرد علماؤنا رحمهم الله بالتصنيف: إعجاز القرآن، وخاضوا في وجوه إعجازه كثيراً.

وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين وجهاً.

والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجاز القرآن الكريم [٤].

وهنا أذكر وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهو الإعجاز في النظم والترتيب.

فالقرآن الكريم إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني،.. واشتمل على عامود البلاغة في وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبديل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، فقد جاء القرآن متناهياً في نظمه البديع وتأليفه العجيب، متناهياً في البلاغة إلى الحد الذي يعجز عنه البشر[٥].

وهذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم لا يتسرب إليه الطعن؛ لأن بلاغة القرآن وفصاحته لا تخلو منها سورة من سور القرآن، ولا آية من آياته، وإذا كان التحدي قد وقع بأن يأتوا بسورة من مثله فهذا ينطبق على القرآن الكريم بأسره، فليست فيه سورة بليغة دون أخرى، ولا سورة اتسمت بجمال النظم بينما خلت منه سورة أخرى، وهذا يخالف وجوه الإعجاز الأخرى، مثل: التحدث عن الأخبار الماضية، أو الآيات التي تشير

(١) البرهان في تناسب سور القرآن للثقفي (٦٨).
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٤/١).
(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥١).
(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٥/١).
(٥) بيان إعجاز القرآن للخطابي (٢٤، ٢٦).

إلى حقائق علمية.... ، فهذه وجوه تلتمس في بعض الآيات، ولا تلتمس في القرآن كله، وكثير من سور القرآن ليس فيها إشارات من هذا القبيل وقد وقع التحدي بها.

لذلك كان نظم القرآن الكريم وما يشتمل عليه من مناسبات أعدل الآراء في وجوه الإعجاز، وهذا الرأي هو الذي مال إليه الحذاق من أهل الصنعة، وأخذ به الجمهور من العلماء[١]، ومنهم: الإمام جلال الدين السيوطي، فهو يرى أن إعجاز القرآن الكريم متعلق بفصاحته وبلاغته، والفصاحة ليست في ألفاظ القرآن، فإن ألفاظه ألفاظهم، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [٢].

والبلاغة ليست في معاني القرآن؛ لأن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [٣] ، فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن الكريم إنما يتعلق بالنظم المخصوص[٤].

وتظهر علاقة علم المناسبات بإعجاز القرآن الكريم في الأمور التالية:

(١)– تناسب آياته وسوره مع مخالفة ترتيبه لأوقات نزوله.

فلقد نزل القرآن الكريم خلال ثلاث وعشرين سنة، وكان فور نزوله على الرسول ﷺ كل جزء منه صغيراً أو كبيراً يوضع في السورة التي لم تكن قد اكتملت بعد، وفي مكان محدد من السورة، وفي موضع رقمي من آياتها، وفي ترتيب لم يكن دائماً هو الترتيب التاريخي، وبمجرد وضع الآية في موضع ما، بقيت فيه إلى الأبد دون أن يطرأ عليها تحويل أو تعديل .

من هنا نقول: إنه لا بد أن هناك تصميماً لكل سورة، فضلاً عن تصميم أو خطة عامة للقرآن الكريم في جملته، بمقتضى كل منهما، كأن كل وحي جديد يوضع في مكانه بين آيات هذه السورة أو تلك السورة.

ولا شك أن طريقة القرآن الكريم هذه ليس لها مثيل على الإطلاق، فلا يوجد كتاب من الكتب في أي مجال أن يكون قد تم تأليفه على هذا النحو أو في مثل هذه الظروف.

وكأن القرآن كان قطعاً متفرقة ومرقمة من بناء قديم كان يراد إعادة بنائه في مكان آخر على نفس هيئته السابقة، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٥/١).
(٢) سورة يوسف:(٢).
(٣) سورة الشعراء:(١٩٦).
(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٤/١، ٢٧).

آن واحد إذا لم تكن الصحائف الخالية والصحائف التامة تمثل وحدة كاملة في نظر المؤلف ؟[1].

إن الناظر في القرآن الكريم دون أن يعلم بتنجيم نزوله، لا يخطر على باله أنه نزل منجماً، حتى إنك مهما أمعنت النظر وبحثت لا تستطيع أن تجد فرقاً بين السورة التي نزلت جملة والسورة التي نزلت منجمة من حيث إحكام الربط في كل منهما، أفلا يدل هذا على إعجاز القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد ؟[2].

(٢)- تناسب موضوعاته مع اختلافها وتباعدها من حيث الواقع التاريخي.

أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتقدم به الإنسان عند وضع كتاب مثل القرآن في نظامه وترتيبه إزاء الأحداث المستقبلية ومتطلباتها التشريعية والحلول المنشودة لها، فضلاً عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأسلوبي مع هذه السورة دون تلك السورة ؟.

وكيف يمكن تجميع هذه القطع المبعثرة بدون تعديل أو وصلات – رغم تنوعها الطبيعي وتفرقها التاريخي – وأن يجعل منها وحدة عضوية متجانسة يتوافر فيها ما نرجوه من التماسك والجمال؟.

إن الاضطراب في النظام المنطقي والخلل اللغوي والبلاغي هما النتيجة الحتمية لمثل هذا المشروع إذا اضطلع به إنسان؛ لما يشتمل عليه من تعقيد محير، وبهذا نستنتج أن اكتمال هذا المشروع، ووجود هذا التنسيق المنشود، هذه القوة وهذه القدرة هي قدرة الخالق سبحانه لا قدرة المخلوق[3].

(٣)- أن القرآن الكريم جاء متناسباً مترابطاً من أوله إلى آخره، والعرب أهل الفصاحة – والبيان ومن نزل القرآن بلغتهم – قل في كلامهم أن يكون متناسباً.

فالعرب رغم فصاحتهم لم يشتمل كلامهم على القدر الوافي من الفصاحة – والإبداع والتناسب، سواء في المعاني أو في الألفاظ – التي اشتمل عليها القرآن الكريم بهذا الطول وهذا القدر، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، ربما وقع فيها الاختلال، واعترضها الاختلاف، وشملها التكلف، والقرآن

(١) مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز (١١٨-١٢١).
(٢) دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل (٤٠١).
(٣) مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز (١٢١). وانظر: الوحدة الموضوعية لمحمد حجازي (٥٤-٦٠).

الكريم رغم طوله وكثرة سوره وآياته متناسب، لم يطرأ عليه الاختلال أو الاختلاف أو التكلف[١]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٢].

(٤)– تناسب القرآن في توجيهاته وتشريعاته.

إن القرآن الكريم معجز في بنائه الفكري، وتناسق أجزائه وتكاملها، فلا فلته فيه، ولا مصادفة، فكل توجيهاته وتشريعاته تلتقي وتتناسب وتتكامل، وتحيط بالحياة البشرية وتستوعبها وتلبيها وتدفعها دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهاج الشامل الضخم مع جزئية أخرى، ودون أن تصطدم واحدة منها بالفطرة الإنسانية أو تقصر عن تلبيتها، وكلها مشدودة إلى محور واحد، وإلى عروة واحدة في اتساق لا يمكن أن تفطن إليه خبرة الإنسان المحدودة[٣].

(٥)– تأثير تناسب القرآن الكريم في النفس الإنسانية.

لقد اصطفى الله جل وعلا من ألفاظ اللغة العربية أفصحها وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الأفهام، وأمتها للآذان، وأقواها تأثيراً في القلوب، وأوفاها تأدية للمعاني، ثم ركبها تركيباً محكم البنيان، لا يدانيه في نسجه كلام البشر من قريب ولا من بعيد، وذلك لما يكمن في ألفاظه من الإيحاءات التي تعبر إلى خلجات النفس، وتقتحم شغاف القلوب.

وما يكون في تركيبه من ألفة عجيبة، وانسجام وثيق بين هذه الألفاظ مهما تقاربت مخارج حروفها أو تباعدت، فقد جاء رصف المباني وفق رصف المعاني، فالتقى البحران على أمر قد قدر، فاستساغه جميع القبائل على اختلاف لهجاتها قراءة وسماعاً، واستسلمت لهذا النسق الفريد، والترتيب العجيب أساطين البلاغة في كل زمان ومكان، واستمدت منه النفوس المؤمنة روحها وريحانها، فلم يشبع من دراسته العلماء، ولم يمل من تلاوته أحد الأتقياء[٤].

فهذه بعض الأدلة الدالة على أن نظم القرآن وتناسبه من أظهر وجوه إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (٣٥–٣٦).

(٢) سورة النساء: (٨٢).

(٣) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (٩).

(٤) دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل (٣٧٥–٣٧٦).

الفصل الثالث: أنواع المناسبات.

يجب أن نضع في اعتبارنا أولاً أن القرآن الكريم جاء في أرقى درجة من النظم، فليس فيه حرف زائد، ولا كلمة وضعت في غير موضعها، بل إنه قد نظم في أحكم عبارة، ورتب بدقة فاقت مستوى الناس، فنظمه وأسلوبه وترتيبه كل ذلك بوحي من الله تعالى.

ثم يأتي بعد ذلك نظر العلماء ملتمسين إظهار بعض أوجه إعجازه، ولا بد للوصول إلى المطلوب من النظر في الحروف التي منها تركب الكلمة، ومن الكلم التي منها تتكون الجملة، ومن الجملة التي منها تتألف الآيات والنجوم، ومن الآيات والنجوم التي عليها تبنى السورة، ثم إلى السورة عموماً التي منها يتكون القرآن. فاستخراج مناسبات القرآن ما هو إلا نوع من أنواع إعجازه، والقرآن وإن كان في غنى عن كل ذلك، فهو يدل بنفسه على أنه لا صنعة فيه لبشر، إلا أنه يحتاج لهذا النوع من الإعجاز لدحض شبهات المفترين، وبيان أنه كلام رب العالمين(١).

وفي هذا المبحث سنستعرض أنواع المناسبات، وهي تنقسم إجمالاً إلى ثلاثة أقسام:

١- أنواع المناسبات في الآية.

٢- أنواع المناسبات بين الآيات.

٣- أنواع المناسبات بين السور.

المبحث الأول: أنواع المناسبات في الآية

إن القرآن الكريم في مفرداته وآياته وسوره متصل اتصالاً معجزاً جعله كالبنيان المتكامل، بحيث لا يمكننا أن نحذف حرفاً من حروفه، أو نغير موضعه فيه أو نزيد عدد حروفه.

وهذا ولا شك بعكس كلام البشر الذي لا يمكن أن يتصل اتصالاً معجزاً ويترابط على هذا النحو الفذ الفريد، فالبشر عاجزون عن تخصيص جملة واحدة من الكلام بحيث تظل ثابتة.

والمفردة القرآنية ذات مدلول واضح محدد بحيث تعتبر معه مصطلحاً له شكل ومضمون ثابتان ومتفق عليهما، وبالوقت نفسه فإن تكرار المفردة القرآنية يجعلها تحمل معنى جديداً بالنسبة للسياق الذي وردت فيه، وبالتالي فالمفردة القرآنية متعددة المواضع، وليست مكررة، فهي ليست مجرد حجر في مجرد بناء، وإنما هي خلية حيّة في بناء

(١) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٢٩٨).

عضوي صاعد من منطلق إلهي، ومنته إلى منطلق إلهي، بحيث لا يمكن أن يكون التعبير عن حقيقة من الحقائق مفهوماً إلا من خلال فهم وضعية هذه المفردة بذاتها أولاً، وبموقعها مع غيرها ثانياً، وبالتشكيل البنائي كما هو وارد في القرآن آخر الأمر.

مثال توضيحي:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾(١).

ويقول في موضع آخر: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾(٢).

فالفرق بين الآيتين هو لأسباب محسوبة، فعندما يكون القتل من إملاق معناه أن الأهل فقراء في الحاضر، فكان التعبير (نرزقكم وإياهم) ، وعندما يكون قتل الأولاد خشية إملاق فالفقر هنا احتمال مستقبلي، ولهذا كان التعبير مشيراً للأبناء (نرزقهم وإياكم)، فهو تقديم وتأخيره موزون بحسبان(٣). وإليك الآن بعض أنواع المناسبات في الآية:

١ – مناسبة اللفظ للفظ:

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾ (٤).

ففي هذه الآية أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي (التاء) ، فإنها أقل استعمالاً وأبعد عن أفهام العامة من (الباء ، والواو) ، وأتى بأغرب صيغ الأفعال الرافعة للاسم الناصبة للخبر، وهي (تفتأ) فإن (تزال) أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً ، وأتى بأغرب ألفاظ الهلاك وهو (حرضاً) (٥).

فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تتجاور كل لفظة مع لفظة من جنسها في الغرابة، توخياً لحسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم(٦).

٢ – مناسبة اللفظ للمعنى المراد:

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (٧).

لما كان الركون إلى الظالم والميل إليه أقل من مشاركته في ظلمه، كان العقاب عليه دون العقاب على الظالم، فأتى بلفظ (المس) وهو دون لفظ (الاصطلاء – والإحراق)(٨).

---

(١) سورة الأنعام: (١٥١).

(٢) سورة الإسراء: (٣١).

(٣) وجوه من الإعجاز القرآني لمصطفى الدباغ (٤٣–٥١).

(٤) سورة يوسف: (٨٥).

(٥) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٣٠١).

(٦) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٨٨/٢).

(٧) سورة هود: (١١٣).

(٨) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٣٠٢).

٣- مناسبة التذييل لما يذكر في الآية[١]:

وهو أن تختم الآية بجملة تؤكد منطوق الآية أو مفهومها.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٢].

فإن الكلام يقتضي أن يختم الآية بـ (الغفور الرحيم)، والحكمة في العدول إلى هذا الوصف (العزيز الحكيم) أنه سبحانه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو الغالب الذي يضع الأمر في نصابه، فكان الوصف بـ(الحكيم) احتراساً حسناً؛ لأن المعنى: وإن تغفر لهم مع ارتكابهم ما يقتضي العذاب، فلا معترض عليك [٣].

المبحث الثاني: أنواع المناسبات بين الآيات

إن تماسك الآيات بمثابة تماسك لبنات البناء التي تقوّمه، فإذا استقامت الأجزاء استقام البناء، فلنذهب إلى هذه اللبنات لنرى مدى صلاحيتها لإقامة بناء كامل، فمما لا شك فيه أن الآيات إذا تماسكت فقد صارت السورة وحدة كاملة تامة تسر الناظرين.

(١)- أنواع المناسبات بين الآيات على وجه العموم:

١- مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:

مثال ذلك: قوله تعالى في فاتحة سورة (المؤمنون): ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٤].

وقوله في نهاية السورة: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٥].

فبين الفاتحة والخاتمة مناسبة تظهر في المقابلة بين الفريقين[٦].

٢- التناسب بين فواصل الآيات:

إن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع.

مثال ذلك: تأخير ما أصله أن يقدم، كقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [٧].

فالأصل أن يتصل الفعل بفاعله، ويؤخر المفعول، لكن أخر الفاعل (موسى) لأجل رعاية الفاصلة[٨].

---

(١) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٣٠٩).

(٢) سورة المائدة (١١٨).

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٠٣/٢).

(٤) سورة المؤمنون: (١).

(٥) سورة المؤمنون: (١١٧).

(٦) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (٩٦-٩٧).

(٧) سورة طه: (٦٧).

(٨) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٦٠/١-٦٢).

٣- التناسب بين الموضوعات التي ترد في السورة :

إن لكل سورة من سور القرآن الكريم موضوعاً أو موضوعاتٍ غالبة عليها، فقد تتعدد موضوعاتها، ولكن هناك وشائج تربط بين هذه الموضوعات، فالسورة تحيط بموضوعاتها كإحاطة السوار بالمعصم.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ (١)(٢).

٤- مناسبة فاتحة السورة لمقاصدها:

مثال ذلك:

سورة الإسراء افتتحت بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ (٣).

وسورة الكهف وهي تالية لها في الترتيب افتتحت بالحمد في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ (٤).

فوجه المناسبة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح: أن سورة الإسراء ابتدئت بقصة الإسراء، وتكذيب المشركين للرسول محمد ﷺ ، فناسب أن تفتتح بالتسبيح تصديقاً للرسول ﷺ وتنزيهاً لله جل وعلا؛ لأن تكذيبهم للرسول ﷺ تكذيب لله جل وعلا.

أما وجه مناسبة افتتاح الكهف بالحمد: فإنه لما احتبس الوحي عن الرسول ﷺ ، وأرجف المشركون بسبب ذلك، أنزل الله هذه الآيات رداً عليهم، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ ، بل أتمها عليه بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة(٥).

٥- اختصاص كل سورة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة بما بدأت به، ذلك لأن كل سورة بدأت بحرف فإن هذا الحرف يغلب ويكثر في أثناء السورة.

مثال ذلك: سورة (ق) تكرر فيها حرف القاف أكثر من خمسين مرة(٦).

(١) سورة الزمر: (٢٣).
(٢) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (١١١).
(٣) سورة الإسراء: (١) .
(٤) سورة الكهف: (١).
(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٩/١).
(٦) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (٩٩).

٦- مناسبة أسماء السور لمقاصدها:

مثال ذلك: سميت سورة (النساء) بهذا الاسم لما تردد فيها من الكثير من أحكام النساء، وإن كان ذكر (النساء) قد ورد في سور، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة (النساء) [١].

(٢)- أنواع المناسبات بين الآيات من حيث الظهور وعدمه :

الارتباط والتناسب بين الآيات من حيث الظهور وعدمه قسمان:

١- أن يظهر الارتباط بين الآيات:

وذلك لتعلق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمام الآية إلا بالآية التي بعدها.

أو تكون الآية الثانية على جهة السببية أو البدلية أو التأكيد أو التفسير أو الاعتراض، بالنسبة للآية التي قبلها[٢].

وهذا القسم لا يحتاج إلى جهد في استخراج المناسبة؛ لأن الصلة بين الجزأين واضحة ظاهرة.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾ [٣] فإن الآية الثانية تقرر معنى الآية الأولى وتؤكده، فإن المراد من (سبيل الرشاد) هو الهداية إلى طريق الجنة (دار القرار).

كما أعاد لفظ (يا قوم) وهذا تأكيد لفظي[٤].

٢- ألا يظهر الارتباط بين الآيات، وهذا القسم نوعان:

أ- أن تكون الآية الثانية معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشرك في الحكم.

ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة. مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا ﴾[٥].

ففائدة العطف هنا: جعل المعطوف كالنظير والشريك.

ب- ألا تكون الآية الثانية معطوفة على ما قبلها.

وهنا لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط والمناسبة[٦].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٢٢-١٢٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤٠/١-٤١).

(٣) سورة غافر: (٣٨-٣٩).

(٤) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٣١٣).

(٥) سورة الحديد: (٤).

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤٢/١-٤٧).

من القرائن المعنوية: التنظير، المضادة، الاستطراد، حسن التخلص، حسن المطلب.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1]. فقد قرر جل وعلا في الآيات السابقة صفة الوحدانية بالدلائل الساطعة، ثم أردفها بما يضاد التوحيد، تقبيحاً للمضاد؛ وتقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسنه[2].

(٣)- أنواع المناسبات بين الآيات من حيث اللفظ والمعنى :

تنقسم المناسبة من حيث اللفظ والمعنى إلى قسمين:

أ- **المناسبة المعنوية:**

وهي أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه في المعنى دون اللفظ.

وهذا النوع من المناسبة يكون بين الجمل المركبة ومعانيها.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3] فإنه سبحانه لما أسند جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه، وهو القادر على كل شيء سبحانه، قال في فاصلة الآية: ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة السماع للظرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون الإبصار؛ لعدم نفوذ البصر في الظلمة.

ولما أسند جعل النهار سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه، كان الوجود كأن لم يخلق فيه ليل البتة، قال في فاصلة الآية: ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لمناسبة ما بين النهار والإبصار.

ب- **المناسبة اللفظية:**

وهي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة.

وهي قسمان:

الأول- **مناسبة تامة:** وهي المقفاة مع الاتزان.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[4].

والثاني- **مناسبة ناقصة:** وهي المتزنة من غير تقفية.

---

(١) سورة البقرة: (١٦٥).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٧٤/٢).

(٣) سورة القصص: (٧١-٧٢).

(٤) سورة القلم: (١-٣).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ (١)(٢).

المبحث الثالث: أنواع المناسبات بين السور

من أنواع المناسبات بين السور:

١- مناسبة فاتحة السورة لفاتحة السورة التي قبلها:

مثال ذلك: السورة المفتتحة بـ(حم) كسورة (غافر - فصلت - الشورى - الزخرف).

٢- مناسبة فاتحة السورة لخاتمة السورة التي قبلها:

مثال ذلك: افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (٣).

فإنه مناسب لختام سورة الواقعة التي ورد فيه الأمر بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (٤)(٥).

٣- التناسب بين السورتين في موضوعهما:

مثال ذلك: مناسبة سورة المائدة لسورة الأنعام.

ففي كل من السورتين حديث عن العقيدة وأصول الدين، وبيان كثير من أحكام المعاملات(٦).

---

(١) سورة ق: (١-٢).

(٢) بديع القرآن لابن أبي الإصبع (١٤٥-١٥٠).

(٣) سورة الحديد: (١).

(٤) سورة الواقعة: (٩٦).

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٨/١).

(٦) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٣٩٦).

الفصل الرابع: ترتيب القرآن الكريم.

المبحث الأول: ترتيب الآيات

١- أجمع أهل السنة والجماعة على أن ترتيب الآيات[١] في المصحف توقيفي، لا مجال للرأي والاجتهاد في ذلك، يقول السيوطي: (الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، أما الإجماع فنقله غير واحد، منهم) [٢]:

أ- الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الأندلسي (ت ٨٠٧هـ). يقول: (ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ، وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين) [٣].

ب- الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي (ت ٥١٠هـ).

يقول: (فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقاً على رسوله ﷺ مدة حياته عند الحاجة، وحدوث ما يشاء الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [٤]، ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [٥]، فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة، وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة رحمة من الله عز وجل على عباده، وتحقيقاً لوعده في حفظه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾)[٦] [٧].

٢- ومن الأدلة النقلية الصحيحة على أن ترتيب الآيات توقيفي، ما يلي:

أ- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: **أما تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء؟**»[٨].

ب- وعن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: (قلت لعثمان رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ

(١) تعريف (الآية) في الاصطلاح: الآية جزء من السورة لها مبدأ ونهاية، وآخرها يسمى فاصلة. انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣١٢).
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٦٠/١).
(٣) البرهان في تناسب سور القرآن للثقفي (٧٣).
(٤) سورة القدر: (١).
(٥) سورة الإسراء: (١٠٦).
(٦) سورة الحجر: (٩).
(٧) شرح السنة للبغوي (٥٢٢/٤-٥٢٣).
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها (٨١/٢) برقم (٥٦٧)، وابن ماجة في سننه، كتاب الفرائض، باب الكلالة (٩١٠/٢) برقم (٢٧٢٦) .

إِخْرَاجٍ ﴾ [1] قد نسختها الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [2] فلِمَ تكتبها أوَّ تَدَعُهَا ؟ قال: يا ابن أخي؛ لا أغير شيئاً منه من مكانه)[3].

فكأن ابن الزبير رضي الله عنهما فهم أن ما ينسخ حكمه لا يكتب، فأفهمه عثمان رضي الله عنه أن الأمر في إثبات الآيات في مواضعها إنما هو بالتوقيف، وليس لأحد أن يغير شيئاً من مكانه[4].

ج- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبا بينها سطر: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ، ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ووضعتها في السبع الطوال)[5].

٣- ومما يستدل به على أن ترتيب الآيات توقيفي:

أ- أن من المجمع عليه أن ترتيب الآيات ليس بحسب نزولها، وإنما يرجع إلى المناسبات والروابط البلاغية، فقد تنزل الآية بعد الآية بسنين، وتكون في ترتيب الكتابة قبلها.

وليس شيءٌ أدلّ على ذلك من تقدم بعض الآيات الناسخة على الآيات المنسوخة، مع أن الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول قطعاً، كما في حديث ابن الزبير السابق[6].

---

(١) سورة البقرة: (٢٤٠) .

(٢) سورة البقرة: (٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا، (٢٩/٦) برقم (٤٥٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى،كتاب العدد، باب عدة الوفاة، (٤٢٧/٧) برقم (١٥٢٣٧).

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣١٨).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ، باب لم تكتب في براءة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ،(٣٣٠/٢) برقم (٣٢٩١)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، السورة التي يذكر فيها كذا،(٢٥٣/٧) برقم (٧٩٥٣)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها، (٢٨٧/١) برقم (٧٨٦)، والترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة التوبة (١٦٦/٥) برقم (٣٠٨٦) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس ﷺ ، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، (١٣٥/١) برقم (٤٠٦)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ومتنه منكر، ونقل عن أحمد شاكر – بعد الكلام في يزيد بن هرمز – قوله: فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان ﷺ كان يثبتها برأيه وينفيها برأية، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح ، وضعفه في ضعيف سنن أبي داود (٧٨/١).

(٦) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣٢٠).

ب- أنه قد ثبت أن الرسول ﷺ كان يتلو آيات القرآن الكريم مرتبة في الصلوات المفروضة والنافلة وفي مواعظه، فيسمعها أصحابه، ويحفظونها كما سمعوها، وكانوا يعرضون على الرسول ﷺ ما كتبوه على الترتيب المعروف، وشاع ذلك، وملأ البقاع، والأمة يتدارسونه فيما بينهم، ويقرؤونه في صلواتهم، ويأخذه بعضهم عن بعض بالترتيب القائم الآن، فليس لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم يد في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم(١).

ج- أن ترتيب الآيات داخل في مسألة النظم القرآني الذي يشكل أساس التحدي والإعجاز، والله جل وعلا قد تحدى العرب أن يأتوا بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، وذلك بعد أن تحداهم أن يأتوا بمثله كاملاً، فالتحدي كان بسورة أو أكثر، ولم يقع التحدي بآية، وليس هناك سورة في القرآن آية واحدة، فوجب أن يكون ترتيب الآيات داخل السور من وضع الحكيم العليم(٢).

المبحث الثاني: ترتيب السور

اختلف العلماء في ترتيب سور(٣) القرآن هل هو توقيفي أو اجتهادي؟

فذهبوا في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

- **القول الأول:** أن ترتيب السور بتوقيف من الرسول ﷺ ، فلم توضع سورة في موضعها من المصحف إلا بناء على أمر الرسول ﷺ أو تعليمه، أو برمزه وإشارته على حسب ما فهموه من تلاوته ﷺ(٤).

أدلة هذا القول ومناقشتها:

١- أن القرآن نفسه يكشف القناع عن ترتيبه، ويبين لنا بوضوح أنه مطابق تماماً للأصل الذي في اللوح المحفوظ، يقول الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾(٥).

ويقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٦).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٣٤٠/١).

(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن المؤلف: محمد بكر إسماعيل (٦١).

(٣) تعريف (السورة) اصطلاحاً: هي طائفة من آيات القرآن جمعت، وضم بعضها إلى بعض، حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله جل وعلا لها. انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣٢٠).

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣٦/١-١٣٧).

(٥) سورة البروج (٢١-٢٢).

(٦) سورة الزخرف (٣-٤).

كذلك القرآن نفسه يبين لنا بصراحة أن الله جل وعلا هو الذي تولى جمعه وترتيبه، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (١).

كما أن الله تعالى قد تكفل بحفظه، حيث يقول:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٢)(٣).

٢- أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، ولم يخالف في ذلك أحد حتى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر، فلو لم يكن الأمر توقيفياً لحصل من أصحاب المصاحف الأخرى المخالفة في الترتيب التمسك بترتيب مصاحفهم، لكن عدولهم عنها وعن ترتيبها، بل وإحراقها دليل على أن الأمر ليس للرأي فيه مجال، ولا يشترط أن يكون التوقيف بنص صريح، بل قد يكفي فيه الفعل أو الرمز والإشارة(٤).

(المناقشة): أن إجماع الصحابة على ترتيب عثمان رضي الله عنه لا يشترط له أن يستند إلى التوقيف عن الرسول ﷺ ، فقد يكونون وافقوا عثمان رضي الله عنه على هذا الترتيب توحيداً لكلمة الأمة، وقطعاً لأسباب الاختلاف(٥).

٣- عن حذيفة الثقفيﷺ قال: (كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف،... فقال لنا رسول الله ﷺ : طرأ عليّ حزب، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاثة عشر، وحزب المفصل من (ق) حتى نختم)(٦).

فإذا جمعت أعداد السور المذكورة هكذا: (٣+٥+٧+٩+١١+١٣) = ٤٨ سورة – فإذا عددت (٤٨) سورة، كانت التي بعدهن سورة (ق) (٧).

(المناقشة): أنه يحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة، بخلاف ما عداه(٨).

٤- عن واثلة بن الأسقع، أن الرسول ﷺ قال:«**أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل**»(٩).

---

(١) سورة القيامة (١٧-١٨).

(٢) سورة الحجر (٩).

(٣) انظر: النبأ العظيم(٤٢)

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣٣٠).

(٥) دراسات في علوم القرآن لعبد القاهر العاني (١٢٣).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن (٥٢٧/١) برقم (١٣٩٣)، وابن ماجة في سننه، أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن (٢/ ٣٦٩) برقم (١٣٤٥)، والطيالسي في مسنده (٤٣٢/٢) برقم (١٢٠٤)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير للسيوطي، حديث رقم)٢٠٧٢(.

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٤٧/١).

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٤٢/٩-٤٣).

(٩) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين رضي الله عنهم ، حديث واثلة بن الأسقع ﷺ (٣٧٥٦/٧) برقم (١٧٢٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما اختلف فيه عن عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الأنفال وبراءة (٤٠٩/٣) برقم (١٣٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير، باب الصاد، أبو مليح بن أسامة الهذلي عن أبي أمامة (٢٥٨/٨) برقم (٨٠٠٣)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٩/٣).

(المناقشة): هذا الحديث رواه أحمد والطبراني، وفي إسناده عمران بن داود القطان، وهو وإن ضعفه يحيى بن معين وأبو داود والنسائي، فقد احتج به ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم، فهذا الحديث حسن.

٥- ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في (بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء): «إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي»[١] ، فذكرهن مرتباتٍ كما هو ترتيبها في المصحف الآن.

(المناقشة): هذا دليل على ترتيب بعض السور لا كل السور.

٦- أن هناك أسباباً تطلع على أن ترتيب السور توقيفي صادر عن حكيم عليم، ومن هذه الأسباب:

أ- موافقة أول السورة لآخر ما قبلها.

ب- التوازن في اللفظ[٢].

ج- أن (الحواميم) رتبت ولاءً، وكذلك (الطواسين) ، ولم ترتب (المسبحات) ولاءً، بل فصل بين سورها، وفصل بين (طسم) الشعراء، و(طسم) القصص بـ(طس) النمل، مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت (المسبحات) ولاءً، وأخرت (طس) عن القصص[٣].

(المناقشة): أن ما أورده السيوطي لا يلزم منه أن ترتيب السور توقيفي، فعدم ترتيب (المسبحات) ولاءً قد يكون لمراعاة مناسبات أخرى أهم من مناسبة فواتح السور، ولهذا مال السيوطي نفسه إلى رأي آخر[٤].

- **القول الثاني:** أن ترتيب السور اجتهادي، من فعل الصحابة رضي الله عنهم[٥].

أدلة هذا القول ومناقشتها:

(١)- اختلاف ترتيب السور في مصاحف الصحابةرضي الله عنهم قبل أن يجمع القرآن، فلو كان توقيفياً لاتفقت مصاحفهم كما اتفقت في ترتيب الآيات، مثال ذلك: مصحف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان مرتباً على النزول ، ومصحف ابن مسعود رضي الله عنه كان أوله البقرة ثم النساء ثم آل عمران[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب حدثنا آدم (٨٢/٦) برقم (٤٧٠٨)، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٢٩/٨) برقم (١٢٥).

(٢) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للمعتصم بالله الجزائري (٢٦٧).

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣٨/١).

(٤) دراسات في علوم القرآن لعبد القاهر العاني (١٢٣).

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣٥/١).

(٦) دراسات في علوم القرآن لعبد القاهر العاني (٢٢٢).

(المناقشة):

١- أن الروايات التي جاء فيها الترتيب المخالف أكثرها مقدوح فيه[١].

٢- أن الاختلاف لا يصح أن يكون دليلاً على أن الترتيب ليس توقيفياً، وذلك لأن مصاحفهم لم تكن مصاحف عامة، بل كانت مصاحف خاصة؛ جمعت إلى القرآن بعض مسائل العلم والتأويل وبعض المأثورات، فهي إلى كتب العلم والتأويل أقرب منها إلى المصاحف المجردة، لذلك لم يعتمد عليها عند جمع المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه في زيادة أو نقص، وكذلك لم يعول عليها في الترتيب[٢].

٣- أن اختلافهم كان قبل العلم بالتوقيف، فلما علموا به تركوا ترتيب مصاحفهم، واتبعوا المصاحف العثمانية[٣].

(٢)- عن حذيفة رضي الله عنه: « أن الرسول ﷺ صلى بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران في ركعة »[٤].

(المناقشة): أن هذا الحديث لا يصح دليلاً على أن الترتيب كان باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعل فعل الرسول ﷺ لذلك كان لبيان الجواز[٥].

(٣)- عن ابن عباس ﷺ قال: (قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ؟...) الحديث[٦].

(المناقشة):

١- أن هذا الحديث غير صحيح؛ لأن الترمذي – الذي هو أحد من أخرجه – قال فيه: (حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث يزيد القاضي عن ابن عباس ﷺ، و(يزيد) هذا مجهول الحال، فلا يصح الاعتماد على حديثه الذي انفرد به في ترتيب سور القرآن[٧].

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم
المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (١١٠-١١٢).
(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣٣١).
(٣) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (٣٣).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٥٣٦/١) برقم (١٨١٤)، وأحمد في مسنده (٤٠٦/٣٨) برقم (٢٣٣٩٩) .
(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٥٧/١).
(٦) انظر: البحث الفصل الرابع، المبحث الأول.
(٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣٣٣).

٢- وعلى التسليم بصحته، فإنه يجوز أن يكون عثمان رضي الله عنه حين إخباره لابن عباس ﷺ لم يكن عنده شيء مسموع بشأن الترتيب بين السورتين، فلا ينافي أنه علم بعد ذلك[١].

٣- أن هذا الحديث لا يدل على أن عثمان رضي الله عنه رتب الأنفال وبراءة باجتهاد منه، وإنما يدل على أنه ظنهما سورة واحدة، ولهذا لم يكتب لبراءة بسملة.

- **القول الثالث:** أن ترتيب السور بعضه اجتهادي، وبعضه توقيفي. وتحت هذا القول قولان:

الأول- أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال[٢].

- أدلتهم: حديث ابن عباس ﷺ السابق.

والثاني- أن أكثر السور كان ترتيبها توقيفياً، وبعضها كان ترتيبها باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم [٣]، على أنه يجب احترام ترتيب السور في المصحف؛ لأنه عن إجماع الصحابة، ولأن القول بخلافه يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة واجب[٤].

أدلتهم: هي أدلة القول الأول.

(تحرير محل النزاع): الخلاف في ترتيب السور إنما هو خاص بترتيب سور الأقسام الأربعة، أما نفس الأقسام الأربعة من تقدم: الطوال، ثم المئين، ثم المثاني، ثم المفصل – هكذا على سبيل الإجمال – فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي، وأن يدعى فيه الإجماع ، وأدلة ذلك:

١- حديث حذيفة الثقفي، وحديث واثلة بن الأسقع ، وحديث ابن عباس ﷺ.

٢- أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب اتفقت على ذلك، فإن مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهما كلاهما قدم فيه الطوال ثم المئين ثم المثاني ثم المفصل، كمصحف عثمان رضي الله عنه .

الترجيح: والذي يترجح أن جميع السور كان ترتيبها توقيفياً، وذلك لما يلي:

١- أنه وإن جاءت النصوص والآثار تشهد للأغلب والأكثر أنه كان معلوم الترتيب في حياة الرسول ﷺ فليس معنى ذلك أن الباقي كان غير معلوم، أو أنه ليس له أدلة معلومة عند الصحابة الذين رتبوا المصحف وكتبوه، بل كتبوه وألفوه كما علموه[٥].

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (٣٣٣).
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣٧/١).
(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٥٧/١-٢٥٨).
(٤) دراسات أصولية في القرآن الكريم لمحمد الحفناوي (٦٣).
(٥) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم د. فهد الرومي (١١٢).

٢- أن الخلاف بين العلماء في ذلك لفظي؛ لأن القائل بأنه من فعل الصحابة يقول: إن الرسول ﷺ رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب النزول ومواقع كلماته[١].

٣- أن الأمة قد أجمعت – ولله الحمد والمنّة – منذ الصدر الأول على ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه الآن، ولم تكن الأمة لتجتمع على ضلالة، فأصبح التزامه أمراً لا محيد عنه إلى قيام الساعة[٢].

٤- أن ترتيب السور إن كان بتوقيف من الرسول ﷺ – كما هو الظاهر – فقد وضع من لدن حكيم خبير، وإن كان ترتيبها اجتهادياً من الصحابة رضي الله عنهم فهم أعلم الناس بترتيب السور ووضع كل سورة في مكانها المناسب من السور الأخرى؛ لأنهم أهل البلاغة والدراية بضروب البيان من جانب، وهم أعلم الناس بمقاصد القرآن وتناسب سوره وآياته من جانب آخر.

٥- أن الصحابة الذين كلفهم عثمان رضي الله عنه بجمع المصحف لم ينقل أنهم قد وضعوا منهجاً لهم في الترتيب، كمراعاة التناسب بين الآيات والسور، وهذا مما يدل على أن هذا الترتيب مستقر في أذهانهم بتوقيف مسبق[٣].

يقول الدكتور: محمد عبد الله دراز:

(إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه؛ قدرت أبعاده، ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً، فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة) [٤].

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٥٧/١).
(٢) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (٨١).
(٣) دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر الألمعي (٨٢).
(٤) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (١٤٩).

الفصل الخامس: علم المناسبات بين المثبتين والنافين.

الناس إزاء علم المناسبات بين منتصر له غلا في تكلف المناسبة حتى فيما لا مناسبة فيه، حجته في ذلك: أن ترتيب القرآن في آياته وسوره توقيفي، ولا يخلو ذلك من أسرار من أجلها الإعجاز بالنظم، فطفق يثبت ذلك بكل الوسائل.

وبين مقصر أغفل التنبيه حتى إلى ما وضحت مناسبته، مستنده في ذلك: أن آي القرآن وسوره على حسب الوقائع المتفرقة والأزمان المتباعدة، ومن التكلف المناسبة بينها.

وبين معتدل توسط في ذلك، ونبه إلى المناسبة في مواطن ظهورها، ورغب عن التكلف فيما لا سبيل فيه إلى المقاربة، ودليله في ذلك: أن المناسبة بين الآيات والسور وإن سلمنا بوجودها، فهي مترددة بين الظهور والخفاء، فلا داعي إلى ركوب متن التكلف والتمحل فيما خفي منها[١].

وإليك تفصيل الأقوال، وأدلة كل قول في المباحث التالية.

المبحث الأول: المثبتون لعلم المناسبات

إن القرآن الكريم هو أحرص الكتب على التناسق الفني والتناسب في النظم، لذا كان علماؤنا المحققون هم أحرص الدارسين على اقتناص أسرار تناسقه وتناسبه، ومن هؤلاء العلماء المثبتين لعلم المناسبات بإطلاق:

١- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي (ت ٦٥٦هـ).

يقول: (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط) [٢].

وكتابه (مفاتيح الغيب) يعد أول كتاب دون في التفسير يهتم بعلم المناسبات.

٢- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).

يقول في مقدمة تفسيره: (ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها) [٣].

٣- شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

يقول: (وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره، ولهذا قيل: خير الكلام المسبوك المحبوك، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، والقرآن العظيم آياته كلها كذلك، فاعرفه) [٤].

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن للثقفي (٦٣-٦٥).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٣٨/٧).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١٢/١).

(٤) الفوائد لابن قيم الجوزية (٢٢٤).

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠هـ).

يقول: (فاعتبار جهة النظم – مثلاً – في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها) (١).

٥- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ).

يقول: (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي، لثبوت التجوز) (٢).

٦- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الأندلسي: (ت ٨٠٧هـ). يقول في مقدمة كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن): (لم أر في هذا الضرب الخاص – أي: علم المناسبات – شيئاً لمن تقدم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح، وأما تعلق السور فمما لم يتعرض له فيما أعلم أحد ممن تقدم أو تأخر) (٣).

٧- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ).

يقول في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور): (فهذا كتاب في فن ما رأيت من سبقني إليه، أذكر فيه – إن شاء الله – مناسبات ترتيب السور والآيات) (٤).

٨- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ).

يقول: (وكتابي الذي صنفته في (أسرار التنزيل) جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة) (٥).

٩- محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ). يقول: (إن هذه المعاني تتنسق في السورة كما تتنسق الحجرات في البنيان ،لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما) (٦).

هذه الأقوال إن دلت على شيء فإنما تدل على أن فكرة المناسبة ليست فكرة غريبة ولا نادرة، وإنما هي فكرة أصيلة وقضية مسلَّمة بين علماء الأمة وأعلامها.

(١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (٤١٥/٣).
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣١٧/١).
(٣) البرهان في تناسب سور القرآن للثقفي (٧١-٧٢).
(٤) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (٢/١).
(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٠٨/٢).
(٦) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز. (١٥٥).

- أدلة المثبتين لعلم المناسبات:

١- أنه لا يمكن فهم كتاب الله ومعرفة كثير من أحكامه إلا بمعرفة ارتباط أوله بآخره، وارتباط آخره بأوله.

يقول الإمام الشاطبي : (فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره؛ وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المتكلم، فإذا صح له الظاهر على العربية، رجع إلى نفس الكلام، فعما قريب يبدو له منه المعنى المراد فعليه بالتعبد به... ، فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها) [١].

٢- أن أكثر الاختلاف في تفسير القرآن الكريم، إنما هو ناتج عن عدم العمل بهذا العلم.

بل لعل أخطاء كثير من المفسرين في بيان معنى الآيات هو ناتج عن إهمال هذا العلم.

٣- أن المناسبة من أحكام اللغة العربية، والقرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين[٢].

فإذا أتت جملة بعد جملة، وكانت معطوفة عليها، وجب أن يكون بينهما نوع تناسب، فإن لم يكن بينهما ذلك لم يكن لذلك الكلام وقع في النفوس عند العرب، فإن لهم عناية بذلك، بخلاف كثير من الأمم، فإنهم لا يعنون بهذا الأمر على ما ذكره بعض الباحثين في ذلك[٣].

٤- أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض؛ لئلا يكون منقطعاً. وعلم المناسبات يساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، فإن بعضه آخذ بأعناق بعض في تأليف محكم، حاله حال البناء المتين المتلائم الأجزاء، وكالكلمة الواحدة المتسقة المعاني، المنتظمة المباني[٤].

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (٣/٣٠٩-٣١٠).

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٢٦).

(٣) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للمعتصم بالله الجزائري (٢٦١).

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن للثقفي (٦٧).

٥- أن إعجاز القرآن الكريم يكون من طريقين:

الأول- فصاحته.

الثاني- نظمه.

وعلم المناسبات داخل في نظم القرآن الكريم الذي هو وجه من وجوه إعجازه(١).

فالقول بالمناسبات هو الحق الذي لا ينبغي سواه، فإن القرآن الكريم معجز من جهة نظمه.

والمتأمل في لطائف نظم سور الكتاب الكريم وفي بدائع ترتيبها رغم تنجيمها على نيف وعشرين سنة يتبين له أن القرآن الكريم مصدره الحكيم الخبير، وأنه إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، معجز من جهة ترتيبه ونظم آياته وسوره(٢).

٦- أن علم المناسبات هو الذي ينفي عن كلام الله أهواء المبتدعين، وانتحال المبطلين، وزيغ المحرفين، حتى إننا نملك أن نمر على الروايات التفسيرية رواية رواية، وننقدها نقداً في ضوء علم المناسبات، ونكشف عما دس فيها، مهما خف ودق.

كما أن في العمل بهذا العلم إبطالاً لمزاعم المستشرقين وكل الطاعنين في صحة القرآن الكريم، الذين اعتبروا ترتيب القرآن ثلمة يمكن نقد القرآن عن طريقها، وعدوا ذلك عيباً فيه واضطراباً في التأليف(٣).

٧- أن ترتيب القرآن الكريم آياته وسوره توقيفي على الراجح (٤).

وعليه فإن لهذا الترتيب مقاصد وحِكماً ومناسبات.

٨- أن لهذا العلم فوائد جمة وعظيمة، هي أساس في فهم كتاب الله تبارك وتعالى(٥).

ومتى لم نثبت هذا العلم فإنه سيكون هناك اضطراب وقصور في فهم كتاب الله جل وعلا.

٩- أنه لما جعل الله جل وعلا نظم كتابه في غاية الدقة والخفاء – حتى إن الناظر فيه يخيل إليه بادئ ذي بدء أنه لا ربط فيه ولا مناسبة – ضمنه إشارات وملامح تنقض هذا الوهم، وتدعو الباحث المتأمل إلى الوقوف عليها، ثم تهيب به إلى التأمل في المناسبات التي تربط الآيات بعضها مع بعض.

---

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (٣١).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن للثقفي (٦٧).

(٣) مجلة كلية الدعوة : العدد (٧) سنة (١٣٩٩هـ) صفحة (٦٨).

(٤) انظر: البحث الفصل الرابع المبحث الثاني.

(٥) انظر: البحث الفصل الثاني المبحث الأول.

وتلك الإشارات والمعالم التي أودعها الله في كتابه كثيرة لا تحصى، ونحن هنا نذكر عدداً منها حتى تكون مثالاً لما بعدها:

١- تكرار القصص مع تنوع الدلالة والهدف، فإن قصة واحدة تكررت في القرآن الكريم، وجاءت في سور متعددة بأساليب منوّعة وألوان متميزة، دليل على وجود تناسب وترابط بينها.

كما أننا نرى أن سورة واحدة تجمع بين قصص مختلفة بحيث يعمّها لون واحد وأسلوب واحد، على الرغم مما يفصل بينها من فترة هائلة وقرون متطاولة.

فهذا الأسلوب كما أنه يدل على أن القرآن الكريم جاء على نظم رصين ودقيق، فكذلك يساعد في فهم السورة وجوّها.

٢- تكرار آية واحدة في سورة أو أكثر.

٣- تكرار كلمات خاصة في سورة من السور، فإن دأب القرآن الكريم أنه يراعي غاية الدقة في اختيار الكلمات، فإذا وقع اختياره على كلمة خاصة لمكان معين، ورددها مرة بعد أخرى، فهذا يدل على أن لها صلة خاصة أو مناسبة خاصة بذلك المكان.

٤- وجود أنواع من المناسبات بين أجزاء الآية، وبين الآيات وبين السور.

٥- تشابه الآيات، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ (١).

فهذا الكتاب يشبه بعضه بعضاً، وقد تثنيت موضوعاته وصرفت مرة بعد أخرى، فإن أجمل في موضع فصل في آخر، وإن ذكر جانباً في موضع ذكر جانباً آخر في موضع آخر، وإن نبه على حقيقة بأسلوب في موضع نبه عليها بأسلوب آخر في موضع آخر، فإن أشكل شيء منه في موضع ، انتقل إلى موضع آخر، وعندها يتضح المراد، وتظهر الآيات بكل معانيها وصلاتها.

٦- العود على البدء: فإننا كثيراً ما نرى في القرآن أنه يأخذ في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، ثم ينجر منه إلى معنى آخر، ومنه إلى آخر، ثم يرجع إلى ما بدأ به.

وليس هذا الانجرار من معنى إلى معنى إلا لمناسبة بينهما، ولحكمة بلاغية تجمع بينهما.

٧- دلالة الروابط، فإن الروابط تشير إلى كون الآية مرتبطة بما قبلها، وتحث الباحث حثاً على التماس وجوه الربط والمناسبة لها.

---

(١) سورة الزمر: (٢٣).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ (١).

فقد يظن ظان أن هذا الكلام مستأنف لا صلة له بما قبله، ولكنه حينما يصل إلى قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (٢) يجد نفسه مضطراً إلى أن يتراجع عن هذا الظن، فإن تلك الآية جاءت كالمثل، كما تدل عليه (الكاف) في (كالذي)، وكما تدل عليه (أو)، فإنها تقتضي أن يكون ما قبلها وهو ما عطفت عليه الآية أيضاً بمثابة المثل ولا محالة، فإن المثل لا يكون قرينه إلا المثل، فيكون التقدير:(كالذي حاج إبراهيم في ربه... أو كالذي مرّ على قرية) (٣).

فهذه بعض المعالم التي تدل على وجود المناسبة بأنواعها في القرآن الكريم.والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: النافون لعلم المناسبات

ـ ممن صرح بنفي علم المناسبات:

١- محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني (ت ١٢٥٠هـ)، في تفسيره (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ (٤).

حيث شن حملة شعواء على من يقول بعلم المناسبات، وأنكر فائدته بالكلية.

وهذا نص قوله: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف..) (٥) .

وتابع الشوكاني في القول بنفي المناسبات، بل نقل نص كلام الشوكاني وعند نفس الآية بدون إحالة إليه أو تعليق عليه:

---

(١) سورة البقرة: (٢٥٨).

(٢) سورة البقرة: (٢٥٩).

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي(١/ ٥٩٦)

(٤) سورة البقرة: (٤٠-٤١).

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٢/١).

٢- محمد بن عبد الله الغزنوي (ت ١٢٩٦هـ).
في تعليقاته على تفسير (جامع البيان في تفسير القرآن) [١].
لـمعين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الإيجي (ت ٨٩٤هـ).
٣- أبو الطيب محمد السيد صديق حسن الحسيني القنوجي (١٣٠٧هـ).
في تفسيره: (فتح البيان في مقاصد القرآن) [٢].

- توضيح موقف النافين لعلم المناسبات :

١- هؤلاء الأئمة الثلاثة رحمهم الله تعالى لكل منهم فضله ومكانته، ولكن قولهم هذا لا يكفي للقطع بأنهم من النافين لعلم المناسبات مطلقاً، وذلك لعدة أمور:

١- أن كل واحد منهم ينهج في تفسيره ذكر المناسبات بين الآيات والسور، وإن لم يصرح بلفظ (المناسبة).

بل إن محمد بن صديق ذكر مناسبة الآية (٤١) للآية (٤٠) من سورة البقرة فقال: (ولما كانت الآية السابقة (٤٠) مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية (٤١) فصلت بالرهبة، التي هي من مقدمات التقوى) [٣].

٢- ثناء الإمام الشوكاني والإمام محمد صديق على الإمام البقاعي، وهو ممن أفرد علم المناسبات بالتصنيف. يقول الإمام الشوكاني: (ومن أمعن النظر في كتابه المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم، المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيراً ما يشكل عليَّ شيء في الكتاب العزيز، فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها، فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب – نظم الدرر – فأجد فيه ما يفيد في الغالب) [٤].

وذكر هذا النص بلفظه محمد صديق في ترجمته للإمام البقاعي[٥].

٢- إذاً ما الذي دعاهم إلى تسجيل هذه الكلمات القاسية في علم المناسبات ومن يقول به؟.

إن الذي دعاهم إلى ذلك هو أن الذين تبنوا هذه الفكرة لم يتعاطوها على وجهها، فقد بدأوا مسيرهم قبل أن يضعوا الأسس التي تعدل مسيرهم، وتذلل لهم طريقهم، وقبل أن يرسموا المعالم التي تعصمهم من الحيرة في هذا الطريق، لذلك فإن المطلع على جهودهم

(١) جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد الإيجي (١٣/١).
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (١٢٥/١).
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (١٢٥/١).
(٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (٢٠/١).
(٥) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول للقنوجي (٣٥٨-٣٥٩).

يجدها كثيراً ما تخطئ الهدف، وكثيراً ما يغلب عليها لون التكلف، فهي أقرب إلى التكلفات منها إلى المناسبات.

وهذا ما دفع هؤلاء الأئمة، وجعلهم يشددون القول في إنكار هذا العلم، ودليل ذلك:

١- أن الشوكاني مثل بكتاب البقاعي (نظم الدرر) ؛ لأن المطلع عليه يجد فيه الكثير من التكلف.

٢- كما يظهر لنا من تفسير الشوكاني: أنه يذكر المناسبة في موضع، ويتركها في موضع آخر، فيذكرها إذا كانت في غاية الوضوح والبيان، ولا يتعب وراءها إن كانت بحاجة إلى تأمل وإمعان نظر(١).

٣- أن الغزنوي أورد في مقدمة تعليقاته: أنه يذكر غالباً وجوه المناسبة بين الآيات، وما يتعلق بارتباط اللواحق والسوابق.

فهو لم يقصد نفي المناسبات، وإنما قصد رفض التكلف في المناسبات، كما أوضح ذلك الشيخ: عبد الأحد خانفوري عندما قرظ وأثنى على تعليقات الغزنوي، حيث إنه بين أهم مطالب التعليقات ومقاصدها، وأنها محصورة في خمسة مقاصد، وتحدث عن المقصد الرابع منها فقال: (ورابعها: بيان ارتباط الآيات بعضها مع بعض، حيث يساعده النظم، ولا يأباه السياق على سبيل الاقتصاد، لا كما يفعله المتكلفون المحرفون المنحرفون عن منهج السداد)(٢).

٣- أما ما استدل به هؤلاء الأئمة حول هذا الموضوع، فهي شبه لا تستند إلى كتاب أو سنة، وسنتناولها بالنقد والرد في المبحث القادم.

٤- وبهذا يتبين لنا موقف هؤلاء الأئمة، وهو:

إنكار تصور المناسبة في جميع القرآن، وليس إنكاراً لوجود المناسبة مطلقاً.

فإنكارهم ليس منصباً على علم المناسبات، وإنما هو منصب على تلك التكلفات التي أطلق عليها خطأ اسم المناسبات(٣).

- أدلة النافين لعلم المناسبات ، ومناقشتها :

الدليل الأول- أن علم المناسبات علم متكلف:

يقول الإمام الشوكاني : (أعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته،... وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية

(١) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات د/ أحمد بن محمد الشرقاوى سالم (٤).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد الإيجي (٢٣/١).

(٣) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات د/ أحمد بن محمد الشرقاوى سالم (١٠-١١).

المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه، وحتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره، ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته) [(١)].

مناقشة هذا الدليل:

١- نعم، إن التكلف في التماس المناسبة تكلف بلا شك، والتعسف فيه تعسف جدير بالرفض.

أما نفس التماس المناسبة فليس من التكلف في شيء، وإنما هو تكليف كلف به العلماء.

فلننظر كيف يدعونا ربنا إلى تدبر القرآن والتفكر في آياته؟، وكيف يثني على الذين يطيلون الوقوف في رحابه؟، وكيف ينعى على الذين يمرون عليه صماً وعمياً ؟، حيث يقول سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [(٢)].

ويقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [(٣)].

ويقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [(٤)].

٢- أن العمل بهذا العلم بضوابطه كفيل بدفع كل تكلف.

٣- أن هذا العلم كغيره من العلوم قد تكلم فيه ممن ليس لهم براعة فيه، فخبطوا فيه خبط عشواء في ليلة ظلماء، إلا أن ذلك لا يؤثر في نفس العلم شيئاً، ولا يحط من قدره، ولا يوجب الإعراض عنه.

وشأن العالم المحقق الواقف على ذلك أن يكثر سواد المحسنين فيه إن ساعده الحال، أو يشير إليهم، ويدل المسترشد عليهم[(٥)].

– ومن المناسب في هذا المقام أن أذكر الآية التي أثار الإمام الشوكاني عندها الكلام عن علم المناسبات، وأبين أن المناسبة فيها ظاهرة لا تكلف فيها:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٢/١).

(٢) سورة ص: (٢٩).

(٣) سورة النساء: (٨٢).

(٤) سورة محمد ﷺ: (٢٤).

(٥) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للمعتصم بالله الجزائري (٢٦٤).

ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [1].

يقول الشوكاني عند هذه الآية بعد حملته على علم المناسبات:

(وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان مع أبي البشر آدم عليه السلام ، فإذا قال متكلف: كيف ناسب هذا ما قبله؟. قلنا: لا كيف: فدع عنك نهبا صيح في حجراته --- ولكن حديثاً ما حديث الرواحل) [2].

نقول: إن المناسبة بين تلك الآيات وما قبلها في غاية الوضوح:

فقد قص القرآن على بني إسرائيل قصة آدم عليه السلام وإبليس، قبل أن يواجههم بالكلام مباشرة، وإذا قصّ عليهم القرآن تلك القصة فكأنما وضع أمامهم مرآة مصقولة يرون فيها حالهم ومآلهم وموقفهم وموردهم.

فقد كان موقف بني إسرائيل من هذا النبي محمد ﷺ نفس الموقف الذي وقفه إبليس من آدم عليه السلام. فأين التكلف في هذه المناسبة ؟ [3].

الدليل الثاني– أن علم المناسبات من الرأي المحض المنهي عنه.

يقول الشوكاني : (بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه) [4].

مناقشة هذا الدليل: نقول: ما ضابط التفسير بالرأي؟.

إن هناك ضوابط يجب توافرها في التفسير بالرأي ، وهي كما يلي:

١– النقل عن الرسول ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

٢– الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم المرفوع مطلقاً، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

٣– الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات عن ظاهرها إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

٤– الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع[5].

---

(١) سورة البقرة: (٣٤-٤٠).

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٣/١)، والبيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (٣٣/١).

(٣) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات د/ أحمد بن محمد الشرقاوى سالم (١٠-١١).

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٢/١).

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣٩٣/٢-٣٩٥)، وانظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (٣١٥/٢-٣١٨).

فمن فسر القرآن برأيه واجتهاده، ملتزماً الوقوف عند هذه الضوابط، معتمداً عليها فيما يرى من معاني كتاب الله، كان تفسيره سائغاً جائزاً خليقاً بأن يسمى:
(التفسير بالرأي الجائز) أو (التفسير بالرأي المحمود).
ومن حاد عن هذه الضوابط كان تفسيره خليقاً بأن يسمى: (التفسير المنهي عنه)، أو (التفسير بالرأي المذموم) [1].
وبهذا يتبين أن علم المناسبات قد يكون محموداً، وقد يكون مذموماً، وذلك بحسب تقيده بتلك الضوابط أو عدم تقيده، فليس بمنهي عنه على الإطلاق.
الدليل الثالث– أن القرآن الكريم نزل في أوقات متفاوتة، وفي موضوعات متنافرة، ورتب على خلاف ترتيب نزوله! فكيف يطلب تناسبه؟.
يقول الشوكاني : (وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله[2] منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله عز وجل إليه، وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى، وتارة مع من حضر، وحيناً في عبادة، وحيناً في معاملة، ووقتاً في ترغيب، ووقتاً في ترهيب، وآونة في بشارة، وآونة في نذارة، وطوراً في أمر دنيا، وطوراً في أمر آخرة، ومرة في تكاليف آتية، ومرة في أقاصيص ماضية؛ وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي؟... وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً، وأخرى هجاء، وحيناً نسيباً، وحيناً رثاء، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع، فناسب بين فقره ومقاطعه، ثم تكلف تكلفاً آخر، فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد، والخطبة التي خطبها في الحج، والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك؛ وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء،

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٥١٨/١).
(٢) ليس كل آيات القرآن الكريم نزل بأسباب وحسب وقائع معينة، بل هناك الكثير من الآيات نزلت ابتداء بعقيدة الإيمان وشرائع الإسلام.

والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك، لعُد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله، متلاعباً بأوقاته، عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله؛ وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر، فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان ؟) [١].

مناقشة هذا الدليل:

١- أنه لو لم يكن ترتيب القرآن توقيفياً على خلاف أزمنة نزوله لأجل وضع الآية بجانب ما يناسبها، لكان العدول عن ترتيبه على أزمنة نزوله إلى هذا الترتيب خالياً عن الحكمة، وهذا محال على الله جل وعلا[٢].

فقد اقتضت حكمة الله الخبير العليم أن يكون كتابه العزيز المقروء في المصحف وفق كتابه المكنون في اللوح المحفوظ، وإن كان النزول على خلاف ذلك.

كما اقتضت حكمته سبحانه أن تكون أغلب السور قد جمعت بين آيات مختلفة النزول زماناً ومكاناً، ولكن لأمر ما وسر دقيق جمعت في سورة واحدة تهدف إلى غرض واحد، له في الغالب مقدمات ونتائج، وهذا موضوع دقيق المأخذ، صعب المسلك، لا ينالـه إلا من أشرب قلبه حب القرآن، ونأى بنفسه عن كل ما يخالفه[٣].

٢- أن القرآن لم ينزل موضوعياً؛ لأنه ليس كتاباً مؤلفاً من صنع البشر، لكنه كان غيثاً يهطل على ظروف ومناسبات وأوضاع متلاحقة اقتضت أن يكون بعض إعجازه هذا الترتيب[٤].

٣- أن الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر هو من باب (التخلص) الذي هو أسلوب من أساليب العربية، فحقيقة التخلص هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه.

وهذا في القرآن كثير كالخروج من الوعظ والتذكير والإنذار والبشارة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه..، كل ذلك بلطائف دقيقة، ومعان آخذ بعضها برقاب بعض[٥].

٤- أن القول بعدم توافر التجانس والترابط الطبيعي بين المواد التي تناولتها السورة، قول لا يصح بأي حال من الأحوال، إذ إن السنة والأثر الصحيح متفقان على أن السور

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (١/٧٢-٧٣).

(٢) النظم الفني في القرآن لعبد المتعال الصعيدي (٤).

(٣) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير لعبد الغفار عبد الرحيم (٢٢٤)، وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣٧).

(٤) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير لعبد الغفار عبد الرحيم (٢٢٢).

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٣/١٥٣).

كانت بالشكل الذي نقرؤها عليه اليوم، وبتركيبها الحالي منذ حياة الرسول ﷺ، فليس ترتيب السور مجرد سلسلة من الحروف والصوتيات تخفي تشتيتاً وتفرقاً جوهرياً في المعنى، وتترك فواصل لا يقبلها المنطق في مسيرة الأفكار، وتقفز قفزات مفاجئة في السورة عند الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر.

إن الواجب علينا عندما نريد أن نقدر جمال لوحة مرسومة ألا نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها، حيث لا نجد إلا ألواناً متنوعة تتجاور أو تتنافر أحياناً، بل يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء؛ ليتسع مجال الرؤية، وتحيط بالكل في نظرة شاملة، تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب. فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لنقد أبعادها الحقيقية، عندها سيتضح لنا أن هناك نوعاً من الترابط في الأفكار التي تناولتها السورة الواحدة، كما سيتبين لنا أن هناك تخطيطاً حقيقياً واضحاً ومحدداً يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة[1].

٥- تعدد وتنوع الموضوعات هو الدافع إلى تلمس المناسبة بين الآيات؛ إذ لو كان المعنى واحداً في آيات السورة، فلماذا تلتمس المناسبة ؟ ، وهل تعقد المناسبة بين الشيء ونفسه ؟.

٦- أنه لو لم يكن في هذا الترتيب تناسب، لكان بلغاء العرب وشعراؤهم أول المعارضين له.

فلقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب ولغتهم، قال الله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2].

فهم أعلم بلغتهم من غيرهم، وتدرج القرآن معهم في التحدي إلى أن قال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[3] ، ولو كان في وسعهم أن يجدوا ثغرة للنفاذ منها لنقده لما ترددوا، بل وقفوا مبهوتين حائرين، ولم ينقذهم من حيرتهم إلا أن قالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] ، لم يقولوا : إنه مفكك التركيب، مهلهل البناء، مختلف القضايا والأغراض، لا رابطة تربطها، ولا سياق يجمعها.

(١) مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز (١١٨-١٢١)، وانظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (٤١٥/١).
(٢) سورة الشعراء: (١٩٥).
(٣) سورة البقرة: (٢٣).
(٤) سورة المدثر: (٢٤).

بل إن الذي وصفه بالسحر(وهو الوليد بن المغيرة) لم يملك حين سمع آياته إلا أن وصفه بأبلغ وصف وأدق تعبير، فقال : (والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر) (١).

٧- أن ظاهرة اختلاف الترتيب وتنوع الموضوعات، هي منهج إلهي يمكن أن يستنبط منها حكم عالية وغايات سامية، تقصر دونها المناهج البشرية، **فمن هذه الغايات السامية:**

١- أن جميع مقاصد القرآن الكريم التي جعلها الله جل وعلا هداية للبشر، إنما تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن الكريم يبث هذا المعنى من خلال المقاصد والأغراض الموزعة على الآيات والسور كافة، فلو جمع كل نوع على حدة لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة، وهي التعبدية.

٢- أن هذه الظاهرة تنفي الملل والسآمة عن القارئ والسامع من طول النوع الواحد، فيقبل كل منهما على الاستكثار من أزمان تلاوته وسماعه الذي هو أحد أغراض القرآن الكريم.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: (وفي هذا التفنن والتنقل مناسبات بين المنتقل منه والمنتقل إليه، هي في منتهى الرقة والبداعة، بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله.

وذلك التفنن مما يعين على استماع السامع، ويدفع سآمة الإطالة عنه، فإن من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته كما قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (٢) فقوله: (ما تيسر) يقتضي الاستكثار بقدر التيسر، وفي تناسب أقواله وتفنن أغراضه مجلبة لذلك التيسير، وعون على التكثير) (٣).

٣- أن هذا الترتيب الذي جاء عليه القرآن الكريم أقرب إلى التأثير في القلوب، وإلى مسارعة الجوارح في العمل؛ لأن التكليف بالأعمال لا يقع موقع القبول إلا إذا كان مقروناً بالوعد والوعيد، والوعد والوعيد لا يؤثر في القلب إلا عند القطع بغاية كمال من

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٤/١٩)، والأثر: أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٢،٤٢١/٢٣)، وأخرجه البغوي في تفسيره (٨٢/٣)، والبيهقي في الاعتقاد (٢٦٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك،كتاب التفسير ،مدح كلام الله من لسان الكافر، (٥٠٦/٢) برقم (٣٨٩٣)، وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧٠/١٥)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٥٨) ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٥/١١) برقم (١١٢٥٠) .

(٢) سورة المزمل: (٢٠).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١٦/١).

صدر عنه الوعد والوعيد، فظهر أن هذا الترتيب أحسن الترتيبات اللائقة بالدعوة إلى الدين الحق[١].

٤- أن في هذا الترتيب للقرآن الكريم دليلاً من أدلة إعجازه.

يقول الزمخشري: (فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصافة تفسيره، وأخذ بعضه بحجز بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوي وأخرس الشقاشق) [٢].

٨- أما المقارنة بين كلام الله وكلام البشر، في كون كلام البشر مما لا يقبل المناسبة والارتباط؛ لاختلاف أسباب قيله وأقواته وحالاته، وأن كلام الله أولى بأن ينفى عنه ذلك، فهذه كذلك حجة داحضة، والقياس فيه فارق كبير.

إذ إن حياة الإنسان تكون عبارة عن تطورات مختلفة وأزمات شرسة، تفرض على الإنسان أحكامها، وتنتقل به من حالة إلى أخرى لا يرضاها. ولو افترضنا لإنسان حياة سعيدة منذ ولادته إلى أن يجود بأنفاسه الأخيرة، فهل تبقى هذه الحياة بمعزل عن الطوارئ الطبيعية؟ فإذا كان الإنسان دائماً عرضة للتغير، فأي شبهة وأي مقارنة بين كلام إنسان ضعيف لا تدوم له حالة وبين كلام الحيّ الذي لا يموت والذي لا معقب لحكمه؟

معاذ الله أن نقيس كلام ربنا العزيز الجليل على كلام العبد الحقير الضئيل؟.

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٣].

فكيف نقارن بين كلام الله وكلام البشر، وقد قال سبحانه في وصف كتابه: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [٤] . وإذا كان بعض الناس لا يرضى أن يقال عن كلامه: إنه لا تربط بين جمله وفقراته رابطة، ولا يلم شمله مقصد عام، فكلام الله جل وعلا أجدر بأن ينزه عن مثل ذلك، وأحق بأن يوصف بكمال النظم وجماله، بل بباهر نظمه، بل بإعجازه في ترابط آياته، واتساقها مبنى ومعنى[٥].

الدليل الرابع- أن في هذا العلم فتحاً لأبواب الشك في كتاب الله، وتوسيعاً لدائرة الريب على من في قلبه مرض.

---

(١) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لمحمد القاسم (٥١٩).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (١٥٣/٢).

(٣) سورة الشورى: (١١).

(٤) سورة هود: (١).

(٥) ابن جزي ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري (٧٩٣/٢)، وانظر: النظم الفني في القرآن لعبد المتعال الصعيدي (٤).

يقول الشوكاني: (وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتصنيف، تقرّر عنده أن هذا الأمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة، وتبين الأمر الموجب للارتباط؛ فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك، فوجده تكلفاً محضاً، وتعسفاً بينا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة) [1].

مناقشة هذا الدليل:

أن القرآن الكريم معجز في ذاته، والنظام في آياته وسوره لون من ألوان إعجازه، وهذا الإعجاز ليس موقوفاً على أن يثبته أحد، فهو ثابت وقائم ولو لم يكشفه أو يؤمن به أحد.

وكم من آية في السماوات والأرض نمر عليها ولا نعرفها، ولا نعرف ما فيها من نواحي الإعجاز، فهل يكون هذا دليلاً على أنه ليس فيها إعجاز؟.

وإن قام أحد ليبرز ناحية من نواحي إعجازها، ثم لم يتأت له ذلك على وجهه، فهل يكون هذا حجة لنفي إعجازها ؟ [2].

الدليل الخامس– أن ترتيب آيات القرآن وسوره اجتهادي، بدليل اختلاف ترتيب القرآن في النزول عن ترتيبه في المصحف.

يقول الشوكاني: (ومن شك في هذا – وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم– رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول، المطلعين على حوادث النبوة، فإنه ينثلج صدره، ويزول عنه الريب، بالنظر في سورة من السور المتوسطة، فضلاً عن المطوّلة؛ لأنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة، وأوقات متباينة، لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [3]، وبعده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [4] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [5] وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف؟ وإذا كان الأمر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً، وتأخر ما أنزله الله

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني(٧٣/١).
(٢) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (٨-٩).
(٣) سورة العلق: (١).
(٤) سورة المدثر: (١).
(٥) سورة المزمل: (١).

متقدماً، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة) [١].

مناقشة هذا الدليل:

لا شك أن هذه حجة داحضة بنفسها، ولا يروج قبولها إلا عند من أغمض عينيه عن جميع مصادر العلم الصحيح من القرآن والسنة وإجماع الأمة.

وليتبين بطلانها يراجع فيها مبحث: (ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره).

الدليل السادس– أن علم المناسبات علم قليل النفع:

يقول الشوكاني : (وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته، وأحقر فائدته، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له، من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس) [٢].

مناقشة هذا الدليل:

أن هذا لا يصح أن يكون دليلاً؛ لأن كثرة فوائد هذا العلم معلومة وظاهرة فكيف تنكر؟

ولمعرفة بعض فوائد هذا العلم التي بها يتبين بطلان هذا الدليل: يراجع مبحث: (أهمية علم المناسبات) [٣].

الدليل السابع– أن القرآن جاء على أسلوب العرب في الاقتضاب.

يقول الشوكاني : (إن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسلكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب، وكانت عادتهم أن يأتوا بفنون متخالفة وطرائق متباينة في المقام الواحد، فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حيّاً، وكذلك شاعرهم) [٤].

مناقشة هذا الدليل:

١– أن العرب كانوا أبعد الناس عن الاقتضاب[٥]، وكانوا أرغب الناس في دقة السبك وحسن النظام، حتى إنه كان يعتبر عندهم مقياساً لجودة الكلام وبلاغته[٦].

٢– أن هذا الأسلوب الذي جاء عليه القرآن الكريم هو من باب التخلص.

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٣/١).

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٢/١).

(٣) انظر: البحث الفصل الثاني.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني (٧٣/١).

(٥) الاقتضاب: هو أن يقطع المتكلم كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلاماً آخر غيره، ولا يكون للثاني علاقة بالأول. انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١٤٧/٣).

(٦) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (١١–١٤).

فالتخلص هو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني، فبينما هو فيه، إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض، من غير أن يقطع المؤلف كلامه، ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً [١].

وعلى هذا فنرى كثيراً من الأشعار يعده الناس من قبيل الاقتضاب، وما هو من الاقتضاب، وإنما هو لون من القفزات الواسعة الرائعة، والتخلصات السريعة البديعة.

٣- ومع ذلك فإننا لا ندعي أن كل ما وقع تحت أيدينا من كلام العرب كله على هذا الأسلوب العالي، ولا أن كله متسم بحسن الارتباط، ولا يوجد هناك ما يحكم عليه بالاقتضاب وعدم الانسجام وسوء التأليف، ولكن لا يرجع ذلك إلى أن العرب كان من عادتهم الاقتضاب، أو أنهم ما كانوا يدركون ما للارتباط من روعة وبهاء، وإنما الأمر بالعكس، فإن العرب كانوا أعرف الناس بمزايا النظم وحسن التأليف[٢].

٤- فإذا كان هناك اقتضاب أو سوء تأليف في كلام العرب، فإن ذلك راجع إلى تغيير في نص كلامهم، وبما أننا لسنا على ثقة بأن جميع كلام العرب في الجاهلية قد روي إلينا بلفظه، فقد أصبح لزاماً على من أراد أن يتعرف إلى أساليب العرب أن يتلمسها في القرآن الكريم، فإنه الفاصل في ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [٣][٤].

المبحث الثالث: المتحفظون في علم المناسبات

درءاً للخلاف، وإبعاداً للتكلف المقيت في المناسبة، توسط بعض العلماء، وعمل على التنبيه إلى بعض الضوابط التي ينبغي أن يُلتزم في القول بها، ومن هؤلاء العلماء:

١- عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ).

حيث يقول: (وقد قيل في هذا الفن أقوال طويلة عريضة، أكثرها بارد غث، ومنها ما يشهد العقل وقرائن الأحوال أنه مراد) [٥].

٢- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ).

يقول: (المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر،.. ومن

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١٤٧/٣).

(٢) انظر: علوم القرآن عند الشوكاني، جمعٌ ودراسة. (٢٠٤).

(٣) سورة إبراهيم: (٤).

(٤) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ (٨٦-٨٩).

(٥) الفلك الدائر على المثل السائر لعبد الحميد بن أبي الحديد (٢١٦-٢١٧).

ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حَسن الحديث، فضلاً عن أحسنه) [١].

٣- محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ).

يقول: (ولما كان تعيين الآيات التي أمر الرسول ﷺ بوضعها في موضع معين، غير مروي إلا في عدد قليل، كان حقاً على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً، وإلا فليعرض عنه، ولا يكن من المتكلفين) [٢].

٤- صبحي الصالح.

يقول: (أما التماس أوجه الترابط بين السور على ما فيه من تعسف وتكلف فهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، إلا أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أواصر قربى، كما أن ترتيب الآيات التوقيفي لا يقتضي عقلاً ارتباط إحداها بالأخرى، إذا وقعت كل منها على أسباب مختلفة) [٣].

- أدلة المتحفظين في علم المناسبات :

استدل المتحفظون لقولهم بأمرين:

١- أنه علم فيه تكلف.

٢- أن القرآن الكريم نزل في أوقات متفاوتة، وفي موضوعات متنافرة، ورتب على خلاف ترتيب نزوله، فكيف يطلب تناسبه؟.

يقول العز بن عبد السلام : (إن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب، كتصرف الملوك والحكام والمفتين، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها،.. ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حَسن الحديث فضلاً عن أحسنه) [٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧٩/١-٨١).

(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥١-١٥٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/١).

مناقشة هذه الأدلة:

سبق مناقشتها، في أدلة النافين لعلم المناسبات.

- ضوابط العمل بعلم المناسبات :

ولما كان الكثير ممن تكلم في المناسبات لم يعتمدوا في أخذهم واستنباطهم على أسس وقواعد ثابتة، كانوا أقرب حالاً إلى إنسان يسير في طريق وعر شاق، ولا يرافقه دليل ولا خبير، فكانت النتيجة حيرة بعد حيرة، وعثرة بعد عثرة.

فلما كان الحال كذلك عمد بعض العلماء إلى وضع ضوابط وأسس يرجع إليها الباحث في هذا العلم حتى يطمئن إلى النظم الصحيح الراجح من النظم المتكلف المرجوح، فمن هذه الضوابط:

١- النظر في الوحدة الموضوعية للسورة :

فإن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي ألا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء وجزء منه إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها، بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها، على وجه يكون معواناً له على السير في تلك التفاصيل عن بيّنة.

فقديماً قال الأئمة: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية[١].

٢- أن يكون الكلام في أمر متحد مرتبط أوله بآخره[٢].

فإذا أتت جملة بعد جملة، وكانت معطوفة عليها وجب أن يكون بينهما نوع تناسب.

أما إذا أتى كلام بعد كلام، وكان كل منهما مستقلاً من كل وجه، لم يجب أن يكون بينهما تناسب، بل يورد أحدهما بعد الآخر إما بطريق الاقتضاب، وهو الجادة المعروفة، أو بطريق التخلص إن أمكن ذلك من غير تكلف[٣].

٣- الاحتكام إلى الذوق الأدبي، والمنطق الفطري: فإما أن يؤيد هذه المناسبة أو يرفضها[٤].

---

(١) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (١٥٤-١٥٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/١).

(٣) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للمعتصم بالله الجزائري (٢٦١).

وانظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥٢).

(٤) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥٥).

وممن ذكر هذه الضوابط:

١- أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد المشدالي المغربي المالكي (ت ٨٦٤هـ).

فقال: (الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، وفي كل سورة وسورة) [١].

٢- الأستاذ صبحي الصالح.

حيث يقول: (وما على قارئ القرآن لتستبين له وجوه التناسب بين الآيات، إلا أن يحتكم إلى ذوقه الأدبي تارة، ومنطقه الفطري تارة أخرى، وحينئذ يقع على ربط عام أو خاص، ذهني أو خارجي، عقلي أو حسي أو خيالي، من غير أن يقوم لهذه الألفاظ في نفسه مدلولات اصطلاحية أو فلسفية، فكثيراً ما يدور التلازم بين الآيات دوران العلة والمعلول، فإن لم تتلاق ويستلزم بعضها بعضاً تقابلت تقابل الأضداد، كذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، ووصف الجنة بعد وصف النار، وتوجيه القلوب بعد تحريك العقول، واستخلاص الموعظة بعد سرد الأحكام) [٢].

وعند العمل بهذه الضوابط فإنه يتبين لنا: أن أوجه المناسبة بين الآيات أو بين السور، يخفى تارة، ويظهر تارة، وأن فرص خفائه تقل بين الآيات، وفرص ظهوره تندر بين السور؛ ذلك أن الكلام قلما يتم بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد تأكيداً وتفسيراً، أو عطفاً وبياناً، أو استثناءً وحصراً، أو اعتراضاً وتذييلاً، حتى تبدو الآيات المتعاقبات كالنظائر والأتراب[٣].

(١) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (١٨).
(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥٥).
(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥٢).

الخاتمـــة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب، وبهر بحسن أساليبه، وبلاغة تراكيبه القلوب، أنزله آيات بينات، وفصله سوراً وآيات، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب، ونظمه أحسن نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن الكريم تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، وعلى آله وصحبه ومن هو للحق مجيب ، أما بعد:

فهذا ما منّ الله به، ثم ما وسعه الجهد، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله في بني الإنسان، فالكمال لله وحده.

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسر لي التوصل إليها في هذا البحث، فمنها ما يلي:

١- أن القول بإثبات علم المناسبات هو القول الحق الذي لا ينبغي سواه، ولكن يشترط للقول بالمناسبة شرطان:

الأول- أن يكون فيه رابط لفظي أو معنوي.

الثاني- ألا يكون فيه تكلف ظاهر، يخرجه إلى التفسير بمحض الرأي المنهي عنه.

٢- أن القول بإثبات علم المناسبات هو القول الراجح، وذلك لأمور:

أ- قوة أدلة المثبتين في مقابل ضعف أدلة النافين.

ب- كثرة فوائد هذا العلم عند العمل به، وفقدانها بفقدانه.

ج- أن علماء الأمة وأعلامها مجمعون على أن هذا القرآن الكريم يتسم بحسن الترتيب وجمال التناسق، ورصانة النظام؛ بصرف النظر عما يوجد بينهم من فارق كبير في مجال تطبيقه.

د- أنه مهما يكن تكلف المتكلفين في إبراز التناسب بين الآيات والسور، فمما لا ريب فيه أن المفسرين المحققين جنوا أطيب الثمر لما ضربوا صفحاً عن كل تعسف، ووسعهم أن يقتنعوا ويقنعوا الدارسين بأن هذا القرآن الكريم الذي نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب متباينة، قد تناسقت الآيات في كل سورة من سوره أكمل تناسق وأوفاه، حتى أغنى تناسقها في مواطن كثيرة عن التماس أسباب نزولها، وعوّض

انسجامها الفني واقعها التاريخي، ثم بدت السور كلها – بآياتها المتناسقات – مائة وأربع عشرة قلادة طوّقت جيد الزمان[1].

وبعد، فإني أحمد الله وأشكره أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، على تيسيره وتسهيله، وأسأله تبارك وتعالى المزيد من عونه وتوفيقه.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [2].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٥٧).

(٢) سورة الأعراف: (٤٣).

(٣) سورة الصافات: (١٨٠-١٨٢).

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن جزي ومنهجه في التفسير، لعلي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ،القاهرة، ط ٣، ١٤٠٥هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ .
- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، لمحمد أحمد يوسف القاسم، دار المطبوعات الدولية، ط١، ١٣٩٩هـ.
- الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، لعبد الغفار عبد الرحيم، دار الأنصار، القاهرة، ط ١، ١٩٨٠م.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، تحقيق: محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ.
- البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي ، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي، الدمام ، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لصديق حسن خان القنوجي، دار اقرأ، بيروت، ط٢ ،١٤٠٤هـ.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١، ١٩٨٤م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، لمحمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

– الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

– الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيرت، ط١، ١٤٠٧هـ.

– السنن الكبرى. لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، . تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

– السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ .

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

– الفلك الدائر على المثل السائر، لأبي حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد، تحقيق: أحمد الحوفي ، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.

– الفوائد، لابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٩هـ.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمحمود بن عمرو الزمخشري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد ، تحقيق: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

– المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، دار اللواء، الرياض، ط٣، ١٤٠٧هـ.

– المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

– المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

– الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

- النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت،ط٢ ، ١٩٧٠م.
- النظم الفني في القرآن، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، مصر،ط١ ، ١٩٧٢م.
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، لمحمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ.
- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، مكتبة النهضة، مصر، ط١، ١٣٧٧هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ١٤١١هـ.
- بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] للخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، المحقق: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م .
- تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨١م .
- تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ،دار طيبة، الرياض ، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن، لأبي بكر محمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري، تحقيق: سعد ابن محمد السعد، دار المآثر، المدينة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تناسق الدرر في تناسب السور، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ، مصر، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن، للسيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الإيجي الشيرازي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- دراسات أصولية في القرآن الكريم ، لمحمد إبراهيم الحفناوي، مكتبة الإشعاع الفنية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لزاهر بن عواض بن محمد الألمعي، الرياض، ط٤، ١٤٢٨هـ.
- دراسات في علوم القرآن، لعبد القهار داود العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٧٢م.

– دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، دار المنار، مصر، ط١، ١٤١١هـ.
– دلائل النظام، لعبد الحميد الفراهي الهندي، الدائرة الحميدية، الهند،ط١، ١٣٨٨هـ.
– ديوان امرئ القيس، لا مرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ.
– ديوان سقط الزند، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله التنوخي المعري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م .
– سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١، ١٤١٥هـ.
– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١، ١٤١٥هـ.
– سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.
– سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
– سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
– سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ.
– سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ.
– شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، دمشق، ط٢، ١٤٠٣ هـ .
– شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
– صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
– صحيح السيرة النبوية لابن كثير، المؤلف: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.

– طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١، ١٤١٨ هـ.

– عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لمحمد بن السيد راضي جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت، ط ٢، ١٣٧٩هـ.

– فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد السيد صديق حسن خان الحسيني القنوجي ، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦٥م.

– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار الكلم الطيب ، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

– كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، للمعتصم بالله طاهر بن صالح الجزائري، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٣٤هـ.

– لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الإفريقي ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

– مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٩م.

– مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، مقال: علم المناسبات بين السور والآيات، للأستاذ: مصطفى الباجقني، ١٩٩٠م.

– مجلة منبر الإسلام، مصر، العدد (٧)، س ٣٢، يوليو، ١٩٧٤م.

– مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩١هـ.

– مسند ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض ، ط ١، ١٩٩٧م.

– مسند أبي داود الطيالسي،لأبي داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ.

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

– مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.

– معالم التنزيل في تفسير القرآن، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع

– معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤٠٨هـ.

– معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

– مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

– وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، مكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤٠٥هـ.

الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٤١٥هـ.